UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190629

UNIVERSAL
LIBRARY

OUP—881—5-8-74—15,000.

OSMANIA UNIVERSITY LIBRARY

Call No. ۸۹۲۷۲ و Accession No. A 588

Author احمد شوقی بک

Title مصر کلیوپاترا

This book should be returned on or before the date last marked

مصرع کلیوپاترا

تألیف

احمد شوقی بك

إلى صاحب السمو الملكى الأمير فاروق

ولى عهد الدولة المصرية

فاروقَ يا أزكى نباتِ الوادى

ولَمْحةَ الآباء والأجدادِ

ويا مناطَ العهد من «فؤادِ»

إلى اليد المأمولةِ الأيادى

أرفع ما قد وَسِع اجتهادى

وَردَ الرُّبا وزَنْبقَ الوِهاد

حوادثٌ قديمةُ الميلاد

فِضْنَ عن الملوك والقُوّادِ

وصِرنَ وحيَ شاعرٍ وشادِ

وفتنةَ اليَراع والمِداد

يَعطِفْن كلَّ طيّبِ الفؤاد

تَهُزُّه فخيعةُ الأمجاد
ورَوْعةُ المَقادر العوادى
وما خَلَوْن من شُعاعٍ هادِ
يُبِينُ الغَىَّ من الرشاد
ومن قصيدٍ مِلْءِ كل نادِ
عَفَّ البيوت نَزِهِ الأوتاد
تُسيغه مسامعُ الزَّهّاد
وقَصصٍ مُستَحدَثٍ فى الضاد
يُؤَلِّفُ التمثيلَ بالإنشاد
فى وطنٍ على الفنون غاد
مَسرَحُه كان بلا عِماد

والدُك المُعانُ بالسّداد
أقام رُكنيهْ فكان البادى
فان تقبّلتَ وذا اعتقادى
جزَيتَ إخلاصىَ واحتشادى
لجيلكِ الناهض بالبلاد

شوقى

تمهيـــد

(١) زمن الرواية

الأيام الأخيرة فى حياة كيلوباترا حوالى سنة ٣٠ قبل الميلاد
بين وقعة « أكتيوم » البحرية وانتحار كيلوباترا

(٢) مكانها

فى الاسكندرية وأرباضها

(٣) أشخاصها

ا — الأشخاص التاريخية

كيلوباترا
مارك أنطونيوس
أكتافيوس قيصر
قيصرون ابن كيلوباترا من يوليوس قيصر

ب — الأشخاص الموضوعة

أنوبيس الكاهن الأكبر
زينون أمين مكتبة قصر كيلوباترا
حابى
ديون } مساعدو زينون
ليسياس

هيلانه	وصيفة كيلوباترا و بينها و بين حابى غرام
شرميون	وصيفة أخرى
أوروس	رومانى فى معية أنطونيوس وهو عبده وتابعه وصفيه
أولمبوس	طبيب رومانى فى بلاط كيلوباترا
أنشو	مضحك الملكة
غانميز	ساقيها
حبرا	عرّافها
أياس	شاديها
أخيل	قائد الاسطول المصرى وربان أنطونياد سفينة كيلوباترا
بولا	شاعر
أغا القصر	

د — النكرات المسرحية

جنود وقواد مصريون ورومانيون . راقصات . عزاف

الفصل الأول

المنظر الأول

« فى مكتبة قصر كليوباترا — حابى وديون وليسياس جلوس الى عملهم »
« يسمع جماعة من العامة خارج القصر ينشدون هذا النشيد »

يومُنـا فى أكتيُوما ذكرُه فى الأرض سارْ
إسألوا أسطولَ روما هل أذقنـاه الدَّمار !

∴

أحرز الأسطولُ نصرا هزّ أعطافَ الدّيار
شرفًا أسطولَ مصرَ حُزْتَ غاياتِ الفَخار

∴

صارتِ الإسكندريهْ هى فى البحر المَنار
ولهـا تاجُ البريهْ ولها عرشُ البحـار

∴

حابى : إسمعِ الشعبَ دُيونُ كيف يوُحون اليهِ
ملأ الجوَّ هُتـافاً بحيـــاتَىْ قاتليْـهِ
أثّر البهتانُ فيه وانطلى الزورُ عليه
يا له من بَبَّغاء عقلُـهُ فى اذُنيْـهِ

ديون: حابى سمعتُ كما سمعتَ وراعنى ... أن الرَّمِيَّةَ تحتفى بالرامى
هتفوا بمن شرب الطِّلا فى تاجهم ... وأصار عرشَهمو فراشَ غرام
ومشى على تاريخهم مُستهزئاً ... ولو استطاع مشى على الأهرام
حابى: أتذكُرُ يا ديون اذ انطلقنا ... الى الميناء نلتمسُ الهواء
وكان البحرُ كالليتِ المُسَجَّى ... وكان الليلُ للميتِ الرداء
ديون: نعم وهناك آنسنا سَحَابا ... وراء الليل جلّلتِ السماء
فقلتَ انظر ديونُ تَرَ الجوارى ... يَطأْن الماء همساً والفضاء
وأقبلتِ البوارجُ بعد حينٍ ... سَوَائبَ لا دليلَ ولا حُداء
رَجَعْنَ رجوعَ قُرصانٍ أصابوا ... من الغزو الهزيمةَ والبلاء
فلم نسمعْ لملّاحٍ هُتافاً ... يُبشرُ بالقدوم ولا نِداء
ولم نَرَ فوق ساريةٍ سِراجاً ... ولا من ثَقْبِ نافذةٍ ضياء
حابى: فماذا قلتَ؟
ديون: قلتُ ديونُ إنى ... أرى الأسطولَ بالويْلات جاء
دخولُ الظافرين يكونُ صبحاً ... ولا تُزْجَى مواكبهم مَساء
فلما أصبح الصبحُ انتبهنا ... نرى الأسطولَ أزْيَنَ ما تَراءى
تبرَّجت البوارجُ بعد عُطْلٍ ... وهزَّتْ فى ذوائبها اللواء

ورُدِّد فى المدينة أن روما عفا أسطولُها ومضى هَباء
فضجّ الناسُ بالبُشرَى وكدّوا حناجرَهم هُتافاً أو دُعاء
هداكَ اللهُ من شَعبٍ برىءٍ يُصَرِّفُهُ المُضلِّلُ كيف شاء

« تدخل هيلانة »

ليسياس : « هامساً لحابى »

حابى صهٍ قد ظهرتْ هيلانهْ وأقبلت بالطلعة الفتّانهْ
تَتنفحُ كالزَّنبقة العَيْسانهْ

حابى : ليسياسُ أنهاكَ عن المجَانهْ هيلانةٌ فى القصرِ قَهْرمانهْ
لها وقارٌ ولها مكانهْ

هيلانه: سلامٌ لك يا حابى

حابى : سلامٌ لكِ هيلانه

هيلانه: أُمِرْتُ أَن أقول للأمين ستحضُر الملْكةُ بعد حينِ
فبلِّغِ الأمرَ الى زينون

حابى : سيدتى سأفعلُ أمرُكما ممتثَلُ

هيلانه : تَقرِنُى بربّتى ؟ ذلك ما لا أقْبَل

حابى : هيلانَ أنت مَلْكتى وأنت وحدَكِ المَلِكْ

هيلانه: بل كلوباترا وحدَها لم يَحْوِ شمسَيْن الفَلَك
إن أنت لم تؤْمِنْ بها فلستَ لى ولستُ لك

« تخرج هيلانة ويدخل زينون من باب آخر فى هيئة تفكير واضطراب »

حابى : ذاتُ الجلالةِ سيدى قد آذنَتْنـــا بالزيارة
زينون : هـذه حجرتُها لا عدِمَتْ طِيبَ ريّاها ولا ضَوء حُلاها
كلَّ يوم تتجلى ساعةً هِهنا كالشمس فى عز ضحاها
تدخُلُ الدارَ فتنسى مُلكها بلقاء الكُتْب أو تَنسى هواها

« محدثاً نفسه فى ركن قصى من أركان المكتبة »

أما الشبابُ فقد بَعُد ذهب الشبابُ فلم يَعُدْ
ويحى أمِن بعد السنيـــنَ وقد مرَرن بلا عدد
أوَ بعد طول تجارِبى ومكانِ علمى فى البلد
تَجْنى الحسانُ علىّ ما لم تَجْنِ قبلُ على أحد ؟

ديون : « هامساً الى زميلية »

حاب.ليسياس.أُقسمُ أن زينونَ مغرَمُ
فصَحَ الشيخَ حبُّـهُ والهوى ليس يُكتم
ليسياس: بِمَنِ الشيخُ مولَعٌ ليت شعرى متيّم ؟
ديون : وبمن جُنَّ يا تُرى
حابى — ضاحكا : كلُّ خافٍ سيُعلم
زينون : « مستمراً فى حديث نفسه »

مالى جُننتُ فصرتُ أتَّـــهم الشبابَ واضطهدْ
لم ألقَ رأساً فاحما إلاّ حملتُ له الحسد
ووجدتُ لاعجَ غيْرةٍ بين الجوانح يتّقـد
فـكأن ظلمةَ شعره فى مُقلتىّ هى الرّمد
وكأنما سرَقت ذوا ئبُهُ شبابى المفتقَـد
ولو أن لى ولداً فمـا ن لما بكيتُ على الولد
حذَراً وخوفا أن يكو نَ بها تعلّق أو وجَد
شكٌّ يعـذّب مهجتى إن المشـكِّكَ فى كَبَد

« يلتفت الى حابى ويطيل اليه النظر ثم يناديه »

حابى بنى

« يأتى اليه حابى »

قل ولا تُخْفِ علىّ: هل تُحبْ؟

حابى : أُحبُّ ؟ من قال

زينون : سمعتُ

حابى : من روَى لك الكذِب؟

زينون : بُنَىّ ليسَ بالفـتى إذا أحبَّ من عَجَب
مَن لم يُحبَّ لم يؤدّ للشبـاب ما وجب

حابى : « متهكماً »

لـكن أأدّعى الهوى ... وليس لى منهُ سبب؟

زينون : حاب بُنىَّ لا تَرُغْ ... مِنَ الســؤال وأَجِب

لولا الهوى لم تَكُ فى ... ظل الشباب تكتئب

ما بال بِشْرِك امّحىَ ... ولونِك الغضّ شُحِب؟

وللدموع من مآ ... قيك تكادُ تنسكِب ؟

حابى : « ساخراً »

أَفِقْ زَينونُ واصحُ من الغوانى ... أبعد الشيب تخدعُك النساء؟

زينون : « غاضباً »

أتعلم يا غلامُ علىّ عشقًا ؟

حابى : ... دع الإنكار قد بِرح الخفاء

زينون : ومن أنباكَ ؟

حابى : انت؟

زينون : وكيف ؟

حابى : تَهْذِى ... فتفضحُك الوَساوسُ والهُذَاء

كمحموم يبوح وليس يَدرى ... تكشَّفَ عن سرائره الغِطاء

أبعد العطف والإشفاق يشقى بصحبتك الشبابُ الأبرياء ؟
فكلُّ فتى رأيتَ زعمتَ صبا يُخامرُه من الرَّقطاء داء ؟
وما كعمَى الشيوخ إذا أحبّوا وليس وراء غيرتهم بلاء

رينون : « لنفسه »

إلهى قد فُضِحتُ وضَلَّ شيبى وصاعت حكمتى وخبا الذكاء

« لحابى »

صدقتَ نُبِّئ بى داء دخيلُ وليس إلى الدواء لِيَ اهتداء
علىَّ تلوّنِ الأفعى ، فهلْ لى من الأفعى ونَكْزَتِها نَجَاء؟
أرى ولَها وأَحسبُهُ حنوناً كسانيهِ على الكِبَرِ القضاء

حابى : وتُعطَى حين تَلقاها ابتساماً وأبطنيوسُ يُعْطَى ما يشاء
صباحُهما مُغازلةٌ وصيدٌ وللأقداح والقُبَل المَساء
أتَرْضى أن يكون سريرُ مصرٍ فوائمهُ الدعارةُ والبِغَاء ؟
أتهدِمُ أمةً لتَشيدَ فرداً على انقاضها ؟ بئس البِناء ؟

بى ، شيخى ، احترأنُ عليكَ فاصفحْ
فلم أكُ أجترى لولا الوفاء

الهى قد فضحت وضل شيبى وضاعت حكمتى وخبا الذكاء

(صفحة ٩)

لقد آن التكاشفُ والتَّواصى بما توحى الكرامةُ والإباء
تعالَ إلى جماعتنا ، فإنَّا جنودَ الحق يجمعنا لِواء
شبابٌ نحن يُعوِزُنا شيوخٌ بهم فى المدْلهمَّةِ يُستضاء
زينون : كفى ، إنى نفضتُ يدىَّ منها ومُزّقَ عن بصيرتىَ الغِشاء
حابى : أبى زينونُ قد بُحتُ من السرِ بمكنونى
وما غيرُك زينونْ على السرِ بمأمون

« يشير الى ديون ولسياس »

أخى هذا أتينىٌّ وخِلّى ذاك مقْدونى
كِلا الخِلّيْن للحق كما أدْعوه يدعونى
كِلا الخِلّيْن ذو جِدّ بأرضِ النيل مدفون
فليْسا فى هوى مصرٍ وفى طاعتها دونى
فدينا الوطنَ الغالى بالجنس وبالدين
ولم نصبِرْ على حكمِ لروميَّةَ ملعون
ولسنا حزبَ أكتافٍ ولسنا حزبَ أنطون
ولا نَخْضَعُ للبأسِ ولا نُخْدع باللين
ولم يَبقَ على الوُدّ لروما غيرُ زينون

زينون : معـــاذ اللهِ ! عُدُّونى من العصبـة عُـدُّونى
كساكِ اللهُ يا روما لباسَ الذلّ والهُون
حابى : أبى ، أنتَ الطبيبُ وكلُّ داء له فى صَيْدليّتك الدواء
فَهِيّ لها ابنَ ساعته وعجّلْ يُعَجَّلْ فى السماء لك الجزاء
لعل سمومَك الذُّعْفَ المواضى من الأفعى وفتنتها شفاء

« يدخل جندى من حرس الملـكة معلناً قدومها »

الحارس : الملـكهْ !

زينون : « كأنما يفيق من حلم »

الملـكهْ ! لاَ بَرِحَتْ مُملَّـكهْ !
ودام مجدُ المملـكهْ !

« تدخل كليوباترا ومن ورائها ابنها قيصرون بين وصيفيها شرميون وهلاته ومن ورائهن أنشو مضحك الملـكة وأغا القصر »

الملـكة : تحيّتى لأمناء المكتبه وشيخهم أعلى الشيوخ مرتبه
زينون : سلامُ السَّماواتِ فى مجدها على رَبَّة التاج ذاتِ الجلالْ
تمنيتُ رأسين لا واحـداً إذا مَسَّتِ الأرضَ هامُ الرجالْ
أُطأطِئُ رأساً لمجـد النبو غ وأَخْفِضُ رأساً لمجد الجمال

حابى . ديون . لبسياس : « بلغت بعضهم الى بعض أسفاً »
أنشو : « للوصيفين وقيصرون »

أما يُغنيه عن رأسيـ نِ رأسٌ فيه وجهانِ ؟
فحيناً هـو مصريٌّ وحيناً هـو يُونانى
وفى مجلسِ يوليوسَ وأنطونيوسَ رُومانى
وإن لاقى أغا القصـ ر فنوبىٌّ وسودانى !

« يدخل الكاهن أبوبيس من باب مقابل »

الملكة . كاهنَ المُلْكِ سلامٌ لا عدِمنا بركاتكْ
صلِّ من أجلى ولاتنـ س صغارى فى صلاتكْ
أبوبيس : رَبَّةَ النيـل التحيا تُ الزَّكيَّاتُ لذاتكْ
حَرَستْ تاجَكِ إيزيـ سُ ومدّت فى حياتكْ
الملكة : هُوَذا ابنى قيصرونٌ يتلقّى نفحاتكِ
الكاهن : « لنفسه »
إيزيسُ كيف أُصلى على ابن يوليوسَ قيصر ؟
أبوه عالٍ ولكنْ فرعونُ أعلى وأكبر

« يسمع هتاف من خارج القصر وجماعة ترتل نشيد النصر السالف فى اكيوم »

الملكة : « عابسة »
كاهنَ المُلْكِ ، سادتى، هل سمعتمْ رَنَّةَ الصوت فى جوانب قصرى ؟

أنوبيس : هم رعايا مليكتى

الملكة : ليت شعرى

أ لخير تجمّعوا أم لشرّ ؟

شرميون: الجماهيرُ يا مليكةُ بالشَّطِّ يموجون فى حُبورٍ وبِشْرِ

سَرّهم مالقيت فى اكتيومٍ من ظهورٍ على العدوّ ونصر

لا يقولون أو يُعيدون إلاّ نبأ بات فى المدينة بسرِى

الملكة : يالإفك الرجال ! ماذا أذاعوا كذبٌ مارَوَوْا صُراحٌ لَعمرى

أىَّ نصر لقيتُ حتى أقاموا ألْسُنَ الناس فى مديحى وشكرى؟

ظَفرٌ فى فم الأمانىّ حلوٌ ليت منه لنا قلامةَ ظُفْر

وغداً يعلمُ الحقيقة قومى ليس شىءٌ على الشعوب بسِر

شرميون :

ربَّةَ التاج ذلك الصّنع صُنعى أنا وحدى ودلك المكرُ مَكرى

كثرتْ أمسِ فى الإياب الأقاويـ ـلُ وظَنّ الظنون من ليس يدرى

فأذعتُ الذى أَذعتْ عن النصر وأسمعتُ كلَّ كوخ وقصر

خِفتُ فى خاطرى عليك الجماهـ ـيرَ وأشفقتُ من عِداً لك كُثْر

فاغفرى جُرْأتى ، فيارُبَّ ذنبٍ يتعب العذرُ فيه مهّدْتِ عذرى

الملكة : شرميونُ آهدئى فما أنت إلا مَلَكٌ صِيغ من حنانٍ وبِرّ
أنت لى خادمٌ ولكن كأنا فى المُلمّات أهلُ قرْبى وصِهر
إنما الخادمُ الوفىّ من الأهـ ـل، وأدنى فى حال عسرٍ ويسر
إسمعى الآن كيف كان بَلائى وانظرى كيف فى الشدائد صبرى
أيها السادةُ اسمعوا خَبَرَ الحر ب وأمرَ القتال فيها وأمرى
واقتحامى العُبابَ والبحرُ يَطغى والجَوارى به على الدَّم تَجرى
بين أنطوبيو وأكتافَ يومٌ عبقرىٌّ يسيرُ فى كل عصر
أخذتْ فيه كلُّ ذاتِ شِراع أهْبةَ الحرب واستعدّتْ لِشرّ
لاترى فى المجال غيرَ سَبُوحٍ مُقبـلٍ مدبر مِكَرٍّ مِفرّ
وترى الفُلكَ فى مُطاردة الفُلـ ـك كنَسرٍ أراد شرًّا بنَسر
وتخال الدخانَ فى جَنَبات الجوّ جُنحاً من ظلمة الليل يسرى
ودَوِىَّ الرياح فى كل لُجّ هزَجَ الرَّعْدِ أوصياحَ الهزَبْر
وترى الماء . منه عودُ سريرٍ لغريقٍ ، ومنهُ أحْناء قبر
يغسِلُ الجُرحَ شرّ مَن غسَل الجر ح ويأسو من الحياة ويُبرى
كنت فى مركبى وبين جنودى ازِنُ الحربَ والأمور بفكرى
قلت روما تصدّعت فترى شَطـ ـراً من القوم فى عداوة شطر

بطَلَاها تقاسمَا الفُلكَ والجيـــشَ وشبًّا الوغى ببحرٍ وبر
وإذا فرّقَ الرُّعاةَ اختلافٌ علَّموا هاربَ الذئاب التَّجرّى
فتأملتُ حالتيّ مَليًّا وتدبرت أمرَ صَحوى وسكرى
وتبيّنتُ أن روما إذا زا لت عن البحر لم يَسُد فيه غيرى
كنت فى عاصف، سللتُ شراعى منه فانسلّت البوارجُ إثرى
خلَصت من رَحى القتال ومما يلحق السُّفن من دمار وأسْرِ
فنسيتُ الهوى ونُصرةَ أنطنيو سَ حتى غدرتُه شرَّ غدر
علِمَ الله قد خذلت حبيبى وأبا صِبيتى وعَونى وذُخرى
والذى ضيّع العروشَ وضحّى فى سبيلى بألف قُطْر وقطر
موقفٌ يُعجب العلا كنتُ فيه بنتَ مصرٍ وكنتُ مَلكةَ مصر

زينونُ فصّلتُ الخبرْ عن القتال والسفرْ
وقلتُ عن إيابى وخُطةِ انسحابى
ما ليس يعلمُ البلدْ ولا درى به أحدْ
فهل لديك الآنا ما يَجلبُ السُّلوانا
من الأمالى المُسْلِيهْ والصُّحُف المُلْهِيَهْ

زينون : عنـدىَ يا مولاتى روائعُ الآيـــات
تسعُون ألف سِفْرِ قد كُتبتْ بالتِّبر
من كل رَقٍّ عجبِ فى العلم أو فى الأدب
قيصرُ أنطونيو وهب لنا مناجمَ الذهبْ
وكلَّ غالٍ مدَّخرْ من الجواهر الأُخَرْ
أسلابه من حربه وَطعنـــــه وصرْبه
هـديةٌ من قيصر لبَلدة الاسكندر

أنشو : إذا كانت الكتْبُ فى شرعكم نطيرَ الجواهر كُفْءَ النَّضارْ
فانى الغنىُّ بدُرّ الفوا قع حين يُرصِّعُ تِبرَ العُقار
وما الكتْبُ قوتى ولا منزلى فما أنا سوسٌ ولا أنا فار

الملكة : حكيمٌ لعمرى على جهله طريفُ الحديث لطيفُ الحِوار

زينون : « مغيظاً »
ولكنها حكمةُ السائمـا تـ وفلسفةٌ غيرُ بنت اختبار
وكلتاهما لا تعَـدَّى الشعو رَ بحُبِّ البقاء وخوف الدمار

أنشو : رويدك مولاىَ بعضَ السّبا بـ فليس السَّبابُ سبيلَ الكبار

هَبِ الليلَ طال فقطّعته بدَرْسٍ وأصبحتَ تُفنى النهار
وأقبلتَ بالكتب تطوى الطِّوا لَ وتَنشرُ فى إثرهنَّ القصار
وزِدْتَ على الأرضِ علمَ السما ءِ كبارَ كواكبها والصغار
إذا ما نفقتَ ومات الحما رُ ، أبينك فرقٌ و بين الحمار!

زينون : « غاضباً »

ماذا تقول السيده ؟

الملكة : « صاحكة » واحدةٌ بواحده

أبى أنوبيسُ أرحو

أنوبيس : بل تَأمُرينَ مُطاعهْ

الملكة « مشيرة الى باب محراب مفتوح ومتجهة اليه »

هذا مُقامُ صلاتى وهيكلى للضراعهْ
ولى خطايا كثيرٌ لا تَبرَحُ البالَ ساعهْ
فادخلْ وصلِّ لأجلى فمنكَ تُرجَى الشَّفاعهْ

« يدخلان المحراب ويتبعهم الحاضرون ما عدا حابى ودبون وليسياس »

ديون : « متهكماً »

إسكندريةُ صرتِ رَفرَفَ معبد من كلِّ ناحيـة عليه سِتارُ

أختصَّ آلهـةُ الجـلال بسرّه ... وتفرَّدَ الـكُهَّانُ والأحْبار
ما خَطْبُهم حابى ، وماذا بَيَّتوا

ليسياس : ... ما هـذه الألغازُ والأسرار ؟

حابى :

أرأيتَ وقعةَ اكتيوم وما جرى ... فيها وكيف تصرّفَ المِقدار !
ليسياس إنك قد سمعت حديثَها ... كالسحر فى الآذان حين يُدار
تبدو الخيانةُ فيه وهى أمانةٌ ... ويُرى النباتُ عليه وهو فرَار
وعلمت كيف نجت وكيف انفض عن ... أنطونيو أسطولُها الغـدّار

ليسياس :

واليوم حابى أين أنطونيو وما ... فعلت بفَلّ جيوشه الأقدار ؟
قل لى : أحىٌّ فى البلاد مشَرَّدٌ ... هـو أم له قبرٌ بمصر يُزار ؟

حابى : ليسياس تسألنى تجاهل عارفٍ

ليسياس : ... بل جاهلٍ لم تأتهِ الأخبار

حابى :

لم تأتِ حتى جاء فى آثارها ... للحبِّ أجنحةٌ بهن يُطار
ويقال بل أخذته تحت شراعها ... ونجا به فُلْكٌ لهـا مِحضار
تجرى الرياحُ بما تشاء قلوعُه ... ويسيرُ فى طاعاتهِ التيار

ويُقالُ غَضبانُ عليها عاتبٌ ... ويُقالُ بل حَنِقُ الفؤادِ مُثار
وعلى صفاء العاشقَيْنِ سحابة ... وعلى سلامِ الصاحبَيْنِ غُبار
آلَى وأقسم لا يُرى فى قصرها ... حتى يُقوَّمَ مجدُه المنهار
إن البلاء أجلُّ من ألاّ يُرَى

ديون : عجبٌ أتخفَى فى الهشيم النار ؟

حابى :

أنطونيو منا بأقرب ثُكنةٍ ... يدعو من الرومان من يختار
ويُعدُّ أهبتَه ليوم حاسم ... فى البر يُغسلُ عنه فيه العار
ويكون ميدانَ الرحى ومدارَها ... تلك التلالُ وهذه الأسوار
فهناك خاتمةُ الصِّراع وموقف ... إما الدَّمارُ به وإما الفار

« يسمع صوت أنوبيس من داخل المحراب مرتلا هذا النشيد »

إيزيسُ ذاتَ الحجابْ ... مالكةَ العالمينْ
شعبُك لاقَى العذاب ... من عَبَثِ الظالمينْ

∴

يا من خفضنا الجباه ... لعزِّها ساجدينْ
صغنا اليك الصلاهْ ... من أدمعِ النادمينْ

« ستار »

المنظر الثانى

« فى احدى عرف القصر الملكى ورحى الحرب دائرة بين اكتافيوس وانطنيوس على أسوار الاسكندرية — حابى فى الغرفة حيث تدخل عليه هيلانة »

هيلانة: أتدْخلُ حابى مَقاصيرَها ... بلغتَ من الجُرأةِ المنتهَى
ستعلَمُ أمرَكَ ذات الجلا ... لة

حابى : ... بل أمرتْ أن ترانى هنا

هيلانة: عجبت لها ولتدبيرها ... كذلك قد أمرَتنى أنا
إذن هى تجمعنا يا جَحو ... دُ وتَجزيكَ عن سَخَطٍ بالرضى

حابى : هيلانةُ خَلِّيكِ من ذكرها ... حديثُ الأفاعى طويل المدَى

هيلانة: رُوَيدَكَ حابى لقد احسنتْ ... فمالى أراك أسأتَ الجزَا ؟

حابى : هيلانةُ يا طِيبَها خَلْوَةً ... وإن قَلَّ فى ظِلِّها المُلتقَى
تَعالَىْ هلانة نُعطِ الغرا ... مَ عِنانَ الحديث ونَشْكُ الجوَى
أنيلى يدىَّ يدَيْكِ اللَّتيـــ ... ـنِ نعيمىَ بينهما والشقا
هَلُمَّ هيلانةُ

هيلانة: حابى أرا ... كَ بكُنهِ الأمورِ قليلَ الهُدَى
من القصر لا تلتمِسْ خَلْوةً ... وإن هو من كلّ حسٍّ خلا

سمـاء القصور لها أذُنا ... ن وأرضُ القصور بعينٍ ترى

حابى : هلانةُ لا تقطعى نَشْوَتى ... بقُرْبكِ أو حُلُمِى باللقـا

أمهما تَخَيَّلتُ صَفوَ الحيا ... ة خلقتِ على جانبيهِ القذَى ؟

هيلانة : حَنانَكَ حابىّ لا تتَّهِمْ ... ولا ترمِنى بعقوق الهوى

ولُذْ بالأناة فان الأنا ... ةَ صَديقُ الصوّابِ عدوُّ الخطا

فلو كنت وحدكَ شُغْلَ الفؤا ... د لهان البلاءُ وقلّ العَنا

ولكنْ حقوقُ كلوباطْرةٍ

حابى : وأىّ حُقوقٍ لها تُدَّعى !

(تدخل كيلوباترة)

كيلوباترا: حُقوقُ الولايةِ ياذا الغلا ... مِ، حقوقُ الرِّعايةِ ياذا الفتى

وصبرى عليكَ لأجل الفتا ... ة

حابى : « مأخوذاً »

إلهى لقد سمِعتْ ما جرى

الملكة : وسَدِّى المسامعَ حُبّاً بها ... وأنتَ تُعينُ علىّ العِدا

وتُرسِلُ فى العَرشِ هُجْرَ الكلا ... م وتُخْفِى الحفيظةَ لى والقِلى

ولكنْ لِنَسْ الذى قد مضى ... فمثلُكَ تاب ومثلى عَفا

دَعِ الذَّوْد عن مِصرَ لى إننى أنا السيفُ والآخرون العصا
ولا تُطعِ الفِتْيةَ العابثيـــن أُسودَ الكلام نعامَ الوَغى

« يدخل أنوبيس »

أبى قد أتيت

أنوبيس: سلامٌ علَيْكِ شُعاعَ المدائنِ نورَ القرى
الملكة: أبى قد تلاقَى هنا العاشقا ن وكان تدبيرىَ الملتقى
فباركْ فتاتى وباركْ فتا كَ وكَفكفْ هواها إذا ماغلا
أنوبيس: حياتك حابى كنبسيةٌ يُشاكلُ أوّلُهـا المنتهى
مقيَّدة بالبقين القنوعِ وما أمرَ القلبُ أو ما نهى
الملكة: كزَهرِ المقاصير لم ينتفعْ بطولِ الأديم وعرضِ الثرى
أنوبيس: ونحسبُ فى الكنب علم الحيا ة وما منه فى الكتب الاشدَا
حابى: لعلى كذى الشك فى حرصهِ يَقيسُ الطريقَ ويُحصى الخُطا
أرى راكبَ الشك ملءَ المجا ل طويل العنان بعيدَ المدى
ولو شكَّكتْ فى السراج الفرا ش لكان سلاماً عليها السّنا
أنوبيس: ولكن تمُرُّ على ما ترا ه تحاورُه نحو ما لا يُرى
وهذا الملاكُ

« مشيراً الى هيلانه »

كمولاته طليق الإرادة حرُّ الحِجَى
تتمشَّى على جَنَباتِ الحيا ة كما يتمشى شُعاعِ الضُّحى
يحوض الوحولَ و يغشى الحُلَّ و يأوى الحصيض و يعلو الذُّرا
و يحترقُ العرَصاتِ الفِسا حَ و ينفُذ من ضيِّقات الكُوَى
ويرتع بين أنوف الأسو د و يلعب بين عبون الظّبا
ولكنهُ طاهرٌ حيث طا فَ تقيُّ الدُّيول عفيف الخُطا

الملكة : أبى قد نسينا حديث القتا ل فمنذ الصباح تدورُ الرحى
وجيش الحليف وجيش العدو بظهر المدينة رهنُ الوغى
هنالك يُقضى مصيرُ البلا د فإما البقاء وإما الفنا
ومن عجبٍ كاد يمضى النها رُوما من رسولٍ ولا من نبا

« يدخل جندى من جنود أنطوبيو منهوكا يعلوه الغبار »

الجندى : سيدتى جئتُكِ بالأخبار لقد جرت بسعدك الجوارى
انتصرت جنودُنا الضوارى تحت لواء البطل المِغْوَار
قيصرُ أنطوبيو على آثارى

الملكة : يا فرحَا ما أعْظمَ البشارهْ ! حلَّتْ على أكتافيو الخسارهْ
«وأكتيومُ» قد اخذنا ثارهْ خذ يا رسول هذه البُشارهْ

« تمنحه بدرة من الذهب فيخرج من باب وتدخل شرميون من باب »

شرميون: سيـــــدتى يا طربا ! سيـــــدتى يا فرحا !
دارتْ على أكتافيُو وجيشِ أكتافْيُوالرَّحى

هيلانة : مَلْكَتى هل تسمعين؟

« يسمع صوت بوق وهتاف من بعيد »

الملكة : « منصتة » صوت بوق وهتاف

« تقوم الملكة الى النافذة وترهف أذنيها وعينيها »

هو واللهِ نشيدى والمُغَنّون جنودى
والمخاريقُ التى تَخـــفُقُ من بُعْدٍ بنُودى
ولديْها فارسٌ مُلـــتثِمٌ شاكى الحديد
يَتراءى فى عنان الـ جَوِّ كالبُرْجِ المَشيد
هو أنطنيوسُ دُخْرى وطريفى وتلـيدى

« الى شرميون وهيلانة »

أيها البنتان هـذى ليـلةُ العيد السعيد
صَلّيـا مثلَ صَلاتى واسجُدا مثلَ سُجودى

« يسجد الثلاثة لحظة . ثم تنهض الملكة أولا وتتجه نحو النافذة »

هو ذا أنطونيو من جانب الميناء أقْبَلْ
هيكلٌ يحملُه من صافنات الخيل هيكل

الرِّداء الإرْجُوانىُّ على عِطفيْه مُسبل
مَبسِمٌ يضحكُ من تحـــت جبينٍ يتهلّلْ
هو ذا يدنو

شرميون: أتى والله

هيلانة : مولاتى ترجّل

الملكة : « تنقر الباب »
أيها البنتان هذى ليلةُ العيـــد السعيد

أنو بيس: « هامساً لحابى »
حابى ، أُحيط القصرُ بالذئاب وبى من السُّخط عليهم مابى
« للملكة »
سيدتى تأذنُ فى انسحابى ؟ وتأذنين مَلْكتى لحابى ؟

الملكة : « ضاحكة »
إلى الأفاعى ؟

أنوبيس: لا ، إلى المحراب

الملكة : رَأيكما فى المُكْث والذهاب

« يخرجان ويدخل أنطونيو وحاشيته وقواده وتابعه أوروس . أنطونيو يقبل على الملكة مادا يديه »

أنطونيو: إلَهتى !

الملكة : قيصرى !

أنطونيو: سلطانتى !

الملكة : مَلِكى !

أنطونيو: عندى لكِ اليومَ يا دُنياىَ أخبارُ

الملكة : عَجِّلْ فديتُكَ

أنطونيو: لا ، لابدّ من ثمنٍ !

الملكة : كرائمُ المال ؟

أنطونيو ما للمال مِقدارُ

« يمد اليها جبينه فى ضراعة »

رُدّى على هامتى الغارَ الذى سُلِبتْ فقُبلةٌ منكِ تعلوها هى الغارُ

« تقبله »

كيلوباترا:

اليومَ تعلمُ رُوما أن ضَرَّتها تُقَبِّلُ الغارَ مَن تَهوَى وتختار

واليومَ تعلمُ روما أن فارسَها جيشٌ بمفرَدِهِ فى الرَّوْعِ جرّار

انطونيوسيدى، هل نحن فى حُلُمٍ ؟ أسالمٌ أنت ؟ لا أسرٌ ولا عار ؟

أنطونيو :

لو قلت قتلٌ لكان القولُ أشبهَ بى ... أيدى الكُماة وفى كفىَّ أظفار
أسرٌ؟ وهمتِ كلوباترا، أتظفرُ بى ... كأسُ المنايا على الأبطال دوّار
الحربُ تعلمُ والأيامُ تشهدُ لى ... أنى شديدٌ على الأقران جبّار
لو كنت شاهدتى والحربُ جارفةٌ ... والصفُّ تحتىَ بعد الصفّ ينهار
قد جُنَّ تحتى جوادى فهو عاصفةٌ ... وجُنَّ نَصْلِى بكفى فهو إعصار
رأيت حملةَ صدقٍ غيرَ كاذبةٍ ... لا السَّيْلُ يحملُها يوماً ولا النار
لما صَدمتُ جناحيْهم وقلبَهمو ... عن الخيام وعن أوكارهم طاروا
وما وجَدتُ لاكتافيو وقادته ... ريحاً ، ولم أتبيّنْ أيّةً ساروا
ومالت الشمسُ أو كادتْ فراجَعَنى ... شوقٌ إليك قديمُ لداء سَوّار
حتى رَجَعتُ ولو أنى طَردتُهمو ... لبات أكتافُ عندى وانقضى الثار

كيلوباترا:

تركتَهم لغدٍ ؟ هذى مجازفةٌ ... غدٌ عيوبٌ وأسرارٌ وأقدار
أوروسُ أنت بفنّ القتال أعلَمُ منّى ... الحربُ فنُّك أورو س والسياسةُ فنى
إن كان « مَرْكُ » إلها ... فأنت فى الحرب جِنّى
فكُنْ بحقّك عَونى ... وقلْ لقيصرَ عنى

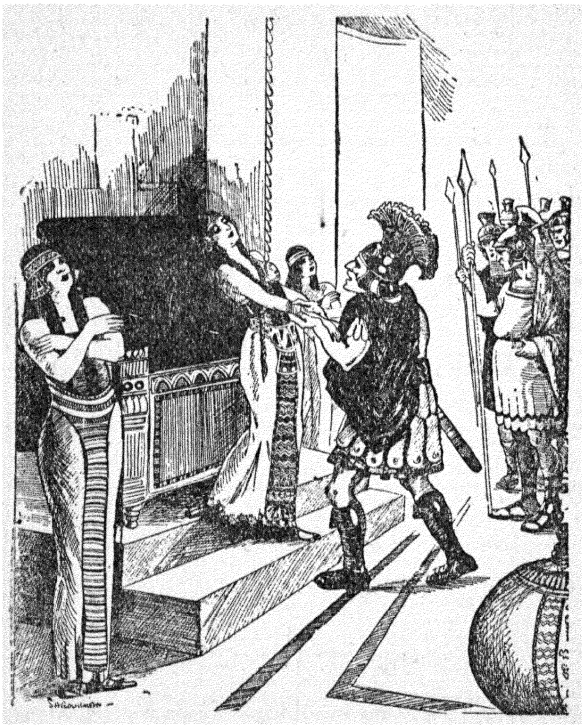

ردى على هامتى الغار الذى سلبت فقبلة منك تعـلموها هى الغـار

(صفحة ٢٧)

إن المنى لم تُقصّرْ بل قَصّرَ المتمنى
فلو صَبَرتم قليلاً وسرتمو فى تأنى
أرحتمونى وروما من الخصام المُعنّى

أوروس: سيدتى لم تقصِدى لما عذلتِ سيدى
عَجلتِ فى الحُكم على ما لم ترىْ وتَشهدِى
لقد حَملنا حملةً كمثلها لم يُعهَد
استنفدتْ بأسَ القنا وقُوَّةَ المُهنّد
فكان لا بد لنا نُرجى القتالَ للغد

أنطونيو: كَلُوباترا دعينا من تَجنّيكِ كلوباترا
أتبكين على الصبر وقومٍ حُرموا الصبرا ؟
وبى من صبرك الواهى حراحُ الأمس لم تبرا
لقد مَنّيتُ أسطولى لدى أسطولك النصرا
حَليفٌ كنت أرجو أن سأشتدُّ به أَزْرا
فَعَبّا تحت أعلا مك حتى زَحما البحرا
وقد كانا الجناحَيْـ ـن وقد كنتُ أنا القَسرا
وأجرَى الفُلْكَ اكتافيو فأجريتُ كما أجرى
صَففْناها وأرسلْنا بها تقتحِمُ الجمرا

كِلانا مارَس الحـر ب وعانى الـكَرَّ والفرّا
فلما آذنتنا الحربُ بالمعركة الكبرى
تَسألْتَ بأسطولك من غمرتها الحرّى
فقلتُ انسحبتْ ضعفاً وقال الناسُ بل غـدرا
ولو كان لهم قلبٌ كقلبى التمسوا العذرا

كيلوباترا : أنطونيوسُ مَلـكى أنطنيوسُ سـيّدى
ليس العُبوسُ سُنَّةً لوجهك الطَّلْق النّدى
ولستَ من يغضبُ فى لبـل التّراب والدّد
ولستَ للـكاس على شاربهـا بالمُفسِد
قلبُك كنزُ الحب والـ رحمـةِ والتودُّد
وكم حَقدتَ ثم أصبحـ ـتَ كأن لم تحقـد
ألستَ بالأمسِ وأمـ ـسِ لفتـةٌ لم تعنُد
وَهبتَ لى جريرتى والصفحُ نصف السُّؤدَد
فاطوِ معى حوادثَ الأ مس ولا تُجَـدِّد
وامضِ معى فى لَذّةِ الـ ـيوم ودَعْ هَمَّ الغـد

أنطونيو : كلوباترا بحبّيك من التأنيب خَلِّينا
لقـد سُقتُ وقُوّادى اليكِ النصرَ فاجزينا

مُرى بالكاسِ والطاسِ وبالنَّدمان يَسقينا
وبالقَصف وبالعزف وحُذّاق المُغنّينا
وما طُيِّب ألواناً وما طاب رياحينا
وقولى الشعر عُلْويّا كما كنتِ تقولينا
وأوحيه إلى شاديك يُلقِيه فيُشجينا
عداً نستأنِفُ الحر بَ ونَطويها ميادينا
اشو : ونَعشاها مَخامير ونلقاها مجانينا !
كلوباترا: مُرْ بما شئتَ قيصرُ وأَشرْ كيف تأمرُ
لكَ قصرى وما حوى الـ ـقصرُ كُلٌّ مُسخَّر
ليس شيءٌ وإن غلا عن حبيبٍ يُؤخّر
لَتكونَنَّ ليلةً آخرَ الدهر تُذكرَ
لا نُبالى إذا صَفتْ بعدها ما يُكدّر
تَحْلُمُ الحُلْمَ لستَ تَدْ رى بماذا يُفسَّر
البِدارَ البِدارَ يا وُصفائى ووصيفاتىَ البدارَ البدارا
قيصرٌ قيصرٌ هو الآمرُ النا هى على القصرِ فلْيَكنْ ماأشارا
هو يَبغى وليمةً فاصنعوها وانسُقوها كما اشتهى واختارا
أَطلِعوا هذه الشموعَ شُموساً تَذَرُ الليلَ بالعَشِيِّ نهارا

وأعِدّوا الخوانَ قـد حُمِّل الأ لوانَ شَتَّى وجُمِّلَ الأزهارا
واجمعوا بالمُدام شَمْلَ النَّدامَى وأديروا الـكؤوسَ والأوتارا
واجعلوها وليمـةً وبسـاطاً يتبارى خـلاعةً ووَقارا
مصرُ إن أوْلمت سَمتْ بالأغانى درجاتٍ وأسمت الأشعارا
لا تَسيروا على ولائم روما سَرَفاً فى الفُسوق واستهتارا
كلما أولمتْ أساءتْ إلى العق ل وجَرّتْ على الحضارة عارا
ولقـد تجعلُ النِّمارَ نَداما ها وأسْـد العَرينةِ السُّمَّارا

قائد رومانى : « لزميله غاضباً »

أتسمعُ ما تقول عَدوٌّ روما ؟ قد اجتراتْ على روما البَغِيُّ
أتحت لوائهـــا وبجانبيْها يخوضُ الحربَ من روما كَمِيُّ ؟
الآخر: غداً تَلقى وإن غداً قريبٌ عقاباً فى البـلاد له دَوِيّ

الأول : « لانطونيوس فى عتب وغضب »

أميرىَ أنطونيو أفى الحق أننـا نَبيتُ سُـكارَى والعدو مُبيّتُ ؟

« ينظر اليه أنطونيو نظرة طويلة ثم ينصرف عنه الى كليوباترا فيهمس الفائد »

ألا إنه ليـلٌ له ما وراءه غرامُك حيٌّ فيه والمجـدُ ميّت

الفصل الثانى

« فى حجرة الولائم بالقصر الملكى ، حيث ترى كيلوباترا ووصيفتاها هيلانة وشرميون ، وأنطنيوس وأوروس وبضعة من القواد الرومان ، وأولمبوس طبيب الملكة ، وأنشو مضحكها ، وعامهز ساقيها ، وحاجب يعلن أسماء القادمين »

أنطونيو : قياماً نَشرب الخمرَا على حُبّ كلوباترا

كيلوباترا: على حُبك أنطونيو على الجيشِ على مصرا

قائد رومانى : على روما

كيلوباترا: دَعوا روما ولا تُجروا لها ذِكْرا

فما أنطونيو منها وإن كان ابنَهَا البِكْرا

ولكنْ تحت أعلامى يَقودُ البرَّ والبحرا

القائد : أحقٌّ مارِكُ أنطونيو سْ مِن رومِيَّةٍ تبرا ؟

« تنظر اليه كيلوباترا فيقرأ فى عينيها ما تريد »

أنطونيو : أجلْ أتبعُ مولاتى ولا أعصِى لها أمرا

كيلوباترا: على حُبكَ أنطونيو

أنطونيو : ثلاثاً أربعاً عشْراً

أنشو : وإن شئتَ فعشرينَ الى ما فوقها سُكْرا

وإن شئتَ من الدنيا وصَلْنا السُّكْرَ للأخرى

قائد روماني : « لزملائه همساً »

دَعوا أنطونيو إنى أرى السُّكْرَ به أزرَى
لقـد كان الفتى الفَطْـــنَ فصار الحَدَثَ الغِرّا

قائد آخر : « همساً »

سنَلبثُ ساعةً نحتالُ حتى إذا سُلَّتْ عقُولهمو انسلَلْنا
فما المُتدَلّه السِّكّيرُ أهلا لتنصُرَه السيوفُ إذا استُلِلْنا

الحاجب :

أياسُ المُغنّى وجوْقَةُ العزّافِ
وراقصاتُ القصرِ

« يدخلون »

كيلوباترا: أهـلاً بوفـدِ الآلهةْ أهل الفنون النابهةْ

الحاجب : الشيخُ زَيْنون

رُبّانُ أنطونياد « يدخلان »

أنطونيو: ماذا عن الأُسطول منـــكَ يا أخيلُ نَعلمُ ؟
هل خَمَدَتْ فتنَتُه أو لم تَزَلْ تَضرِمُ ؟

أخيل : مَولاىَ إن البحرَ نُخ فى سِرّه ويكتُم

وما نواه فى غـد مثْلُ غد مُستَبْهِم
فلا أقولُ مُقدِمٌ ولا أقولُ مُحجِم
ولا أقولُ ينبرِى للحرب أو يَستَسلِم

كيلوباترا: أخيلُ دَعْنا من غدٍ إن غـداً تَوهَّم
أخيلُ ما العيشُ سوى ساعةِ صفوٍ تُغنَم
فلا تَـكنْ كداخل على النَدامَى يَلطِم
أتيْتَهـم مُناداماً لم تَأتِهم ليَندموا
اليومَ شُربٌ

زينون : وغـداً حربٌ

غانيمز : كلامٌ مُحـكَم !

الحاجب : بُولا الشاعرْ حَبْرا الساحرْ

كيلوباترا: « ضاحكة »
حَبْرا ، أعندكَ سِحرٌ يَشُلُّ طاغوتَ رُوما ؟
ويَجْعَلُ الناسَ فيها حِجارةً ورُسوما ؟

« القواد الرومانيون يدمدمون »

أنطونيو : سيدتى لاتجرحى قُوَّادى ولاتَنالى بالأذى أجنادى
وقللّى السُخط على بلادى

كيلوباترا : أنطونيو ما أنت رومانىٌّ ألم تقلْ إنك لى جُندىٌّ ؟
أنطونيو : بل وزدتُ أننى مِصرىٌّ وأننى تابعُك الوفىٌّ
ما فى سوى رضاك لى مُضِى

أنشو : تلك واللهِ قضيهْ أصبح الراعى رَعيهْ
حَكم الحبُّ على قيـ ـصرَ والحُب بليّهْ
صار كالشعب وساوَى هَمجَ الاسكندريهْ !

أنطونيو : حبراتَكلّمْ ، ألاعجيبهْ ؟ من سحر مَنفٍ أوسحر طيبهْ

حبرا : إلهَ الحرب سامحنى فانى غُلبتُ على أبالستى الغِضابِ
هم لا يَجلِسون على غِناء ولا يتحدثون على شراب !

كيلوباترا : ولكنْ قيصرٌ يَدعوك حَبرا وقيصرُ لا يُردُّ بلا جواب
وأنت الكاهنُ العَرافُ فانظر أغيرُ السحرشىءٌ فى الجِراب

حبرا : إذا ما شئتِ مولاتى فإنى أُطالعُ فى الكُهوف وفى الكتاب

كيلوباترا : أُدْنُ من قيصرَ حبرا وانظُرِ الكفَّيْنِ واقرا

أنطونيو : تعالَ حبرا وقلِّبْ يَدىَّ يُمنَى ليُسرى
لعل أسرارَ كفى كواشفٌ لك سِرا

« يتقدم حبرا ويمعن فى كف أنطونيوس »

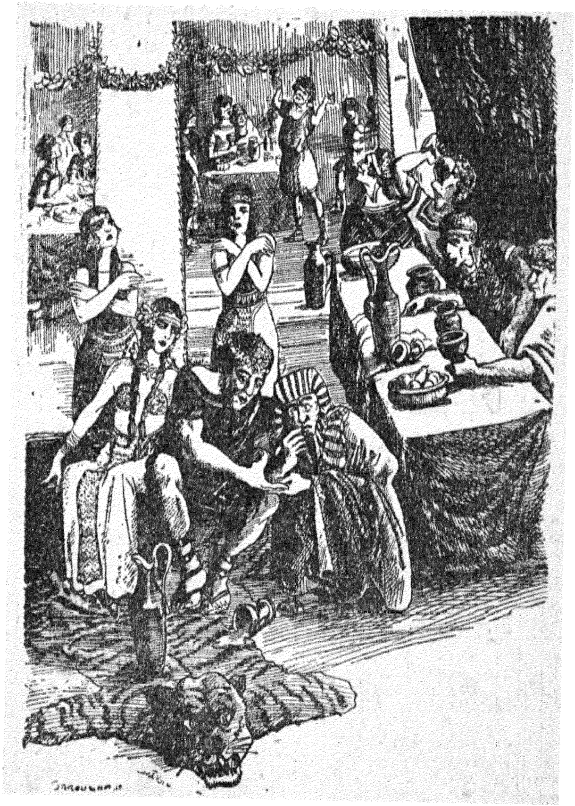

ألا ترى لى بقاء ؟ ألا ترى لى عمرا ؟

(صفحة ٣٩)

الاتَرى لى بقاء ؟ الا تَرى لىَ عُمرا ؟

حبرا : ياعَجَبَ الفال ! مولا ى أعجبُ الناس أمرا

حياتُه بيـــــديه والناسُ يَحيَوْن قَسْرا

إن شئتَ عشتَ نهارا أو شئتَ عُمِّرْتَ دهرا

قائد رومانى : « الى زملائه همساً »

لو كنتُ منه قريباً لقلتُ فى أُذْن حبرا

حيـــاتُه فى يَدَىْ أم فى يَدَىْ كيلوباترا !

كيلوباترا: تعالَ الآنَ سَلْ كَفِّي وبَيِّنِ ما الذى تُخفى

« يتقدم حبرا اليها ويمسك يدها بعنايه وشغف »

حبرا : ياالكِ كَفًّا كمثلِ العاجِ ناعمةٍ كحَمَلِ الدّيباجِ

لامسُها من الجحيم ناجِ

« ضحك »

تَفدى الأكُفُّ كلُّها يمينا بيضاءَ حمراءَ تَرِفُّ لِينا

كما أَظلّ الشّفقُ النَّسْرِينا

أنطونيو : « ضاحكا »

سمعتِ حبرا مَلَكَتي كيف ابتكرْ كُلِّفَ أن يَصنَعَ سِحرا فشَعَرْ

بولا الشاعر : السحرُ والشعرُ سواءٌ فى الأثر

كيلوباترا: لقد أعجبكَ الشعرُ وراقتْكَ معانيهِ
وما سَرّكَ أنطونيو سُروري كلُّه فيـه
فما تأمرُ ي حبرا بأيِّ البرِ أجزيه ؟

حبرا : « لأنطونيو »

جائزتي يا سـيّدي تقبيلُ هذه اليدِ !

أنطونيو: « ضاحكا »

قَبّلْ ولا تَرَدَّدِ !

« يقبل يديها بين إقدام وإحجام »

حبرا : عجَبٌ عينيَ لا تقَـ وَى على هذا الضياء
هـذه كفُّ إلهٍ جاء في زِيِّ النساء
كيلوباترا: خَلِّني مِن زُخرُف المد ح ومِن زور الثناء
ما وراءَ اليـــد يا عرّ افُ من غَيْب القضاء ؟
أحضيضٌ يومَ الآ خِرُ ـ قلْ لي ـ أم سماء ؟
خاتَمُ الأيام أوْ لِيَ باهتمام العظماء
حبرا : مَلْـكتي يومُكِ في الأيـ ام منشورُ اللواء
نابهُ الصبح كيوم الـ شمس عُلْوِيٌّ المَساء

خَطَر العزُّ عليه ومشى فيه الإباء
ثم يتلوه بقاء لم يُطاوله بقاء

أنشو : « لزينون »

رأيتَ الشعرَ قد أجدَى فماذا قلتَ يا فار ؟

زينون : إلهـــتى ومَلاكى كُفّى المُهرِّجَ عنى
قد نال منى ولولا ناديكِ ما نال منى

أنشو : سيدتى عبدُكِ أنشو قد صدقْ
الفارُ فى مَكتبَةِ القصر نطق
يقول إن أسرِقْ فزينونُ سَرق !
همِّىَ فى الجلد وهمُّه الورق
يَسطو على آثار كلِّ من سبق!

أنطونيو :

إنى أرى أنشو وأمثالَه زادوا على زينونَ فى الجُرْأَهْ
ياوَيْحَ للشيخ على فضله أصبح فى مجلسهم هُزْأَهْ

أنشو : هَبوه فى الدرس بحراً هبوه فى العلم أُمّهْ
لا يخلُقُ العلمُ نفساً ولا يُنبِّه هِمّه

كم عالمٍ فى يد الجا هلين مُلقَى الأَزمّه

كيلوباترا: أَقِلَّ المَزحَ يا أنشو وأرسلْه بمقدارِ
فلولا الجهلُ ما رُحـــتَ تقَسُ اللّيثَ بالفار

زينون : ياسماء احفظى ويا أرض صونى
أظهرتْ عَطفَها على زينون !

كيلوباترا: يا غلامـــير هاتِ النبيذْ
هاتِ اسقنى واسقِ الحبيبْ
واسقِ الملا

بولا الشاعر : بنتُ الدّنانْ أمُّ الزمانْ
خبّـــأها فى قَبْوِهِ
ساقى منـا
لونُ الفرَحْ حِنّا القَدَحْ
سِرُّ السرورْ صَفوُ الحياهْ
قُوتُ المنُى

كيلوباترا: قيصرُ ذى سُلافةُ الفيومِ
تُنمى إلى عَقائل الكُروم

مَخموءة من عهد مصرائيم
قد عُمِّرتْ كعُمُرُ النجوم
دِنانُ مصر لا دِنانُ الروم !

القواد الرومان : « بدمدمون ونهامسون »

قائد : قولوا يا رومانيّونا تحيا روما
آخر : تحيا
ثالث : تحيا

أنشو : « ضاحكا »

تحيا الخمر يحيا السُّكْرُ

القواد : تحيا روما

جماعة من المصريين : تحيا مصرُ

أنطونيو: أيها الشادى أَياسُ بلغ السُّكْرُ مَداهْ
غَنِّي شعرَ مَلاكى غننى شعرَ الإله
أنا لا أَطرَبُ حتى أسمعَ « الحبُّ الحياه »

أياس : « مغنياً »

أنا أنطونيو وأنطونيو أنا ما لرُوحيْنا عن الحُب غِنى

غَنِّنا فى الشوق أو غَنِّ بنا نحن فى الحب حديثٌ بعدنا

⁂

رَجَّعتْ عن شَجوِنا الرِّيحُ الحَنونْ وبعينيْنا بَكى المُزْنُ الهَتونْ
وبَعَثنا من نُفاثاتِ الشُّجونِ فى حَواشى الليـل بَرقاً وسَنَى

⁂

خَبِّرى يا كأسُ واشهدْ يا وترْ وارو ياليـلُ وحدِّثْ يا سحرْ
هل جَنيْنا من رُبا الأُنس السَّمرْ ورشفنا من دَوالِيها المُنَى

⁂

الحياةُ الحبُّ والحبُّ الحيـاهْ هو من سَرْحتها سِرُّ النَّواهْ
وعلى صحْرائهـا مَرَّتْ يداه فجرتْ ماءً وظلا وجَنَى

⁂

نحن شعرٌ وأغانىٌّ غدَا بهوانا راكبُ البيـد حدَا
وبنا المَلاحُ فى اليمّ شـدا وبكَى الطيرُ وغَنَّى مَوْهِنا

⁂

مَن يَكنْ فى الحب ضَحّى بالكَرَى أو بمسْفوح من الدمع جرَى
نحن قرّبنا له مُلْكَ الثرى ولَقِينـا الموتَ فيه هيّنا

⁂

فى الهوى لم نألُ جُهدَ المُؤثِرِ وذهبنا مَثلاً فى الأعصُرِ

هو أعطى الحبَّ تاجيْ قبصر لم لا أُعطى الهوى تاجيْ مِنا

⁂

صوت : مرحى مرحى يحيا الفنُّ

آخر : يحيا الشعرُ

ثالث : يحيا اللحنُ

« تقوم كيلوباترا الى شرفة فيتبعها أنطونيوس »

قائد رومانى : « لزميل من زملائه هامساً »

هلاّ نظرتَ إلى الأميرة ؟ إنها سَكْرَى تَعثّرُ فى خليع عِذارها

آخر :

وتأمّل المفتونَ كيف جرى على آثارها وانجرَّ فى تيارها

آخر : « لزملائه حيث يسمعه أوروس وأولمبوس »

وأنظرْ إلى أوروسَ فى تَرَدّدِهْ يأبى الهُتافَ معنا لمَولِدهْ

أولمبوس : « ساخراً »

أوروسُ مِلْءُ يومه مِلْءُ غدهْ فتى تَضِجُّ الحربُ من مُهنّدهْ

ويَشتهى الأبطالُ فضلَ سؤدَده قد راعنى فناؤه فى سيده

بنفسه وقومه ومَولِده يَغلو غُلُوَّ الكلب فى تودّده

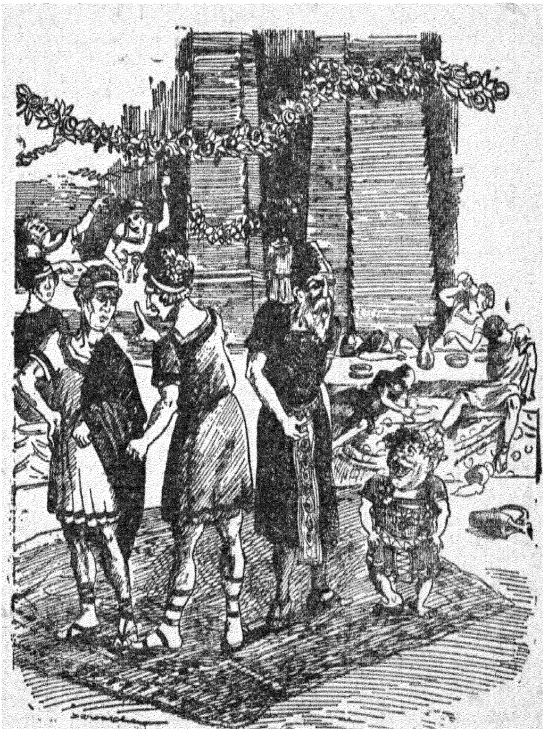

تلك الدعابة ياطبيب تقيلة فحذار ثم حذار من تكرارها

(صفحة ٤٧)

يُقيِّدُ الكلب وراء مَرصَده فيحرسُ الدارَ على مُقيِّده

أوروس :

تلك الدُّعابةُ يا طبيب ثقيلة فحَذارِ ثم حذارِ من تكرارها
لولا الوليمةُ والشَّرابُ وحُرْمة لأميرة الوادى السعيد ودارها
لَنزعتُ من أقصى لهَاتِكَ مُضْغةً كثُرَتْ على الأبطال فى استهتارها

أولمبوس :

أوروسُ !

أوروس :

أولمبوسُ صَهْ بَرِحَ الخفَا ورأيتَ نفسَك فى مَفاضِح عارها
ماذا خَبَأْتَ من السُّموم لمَلْكةٍ غفَلَتْ عن الأفعى ولُؤم جِوارها ؟
إلاّ تكنْ علمتْ فانك عندنا جاسوسُ اكتافيو على أسرارها
ما زِلتَ منذ وفَدتَ تُطلعُه على أخبار قيصر أو على أخبارها
إنا رجالَ الحرب ليس يَفوتُنا لَحْظُ العيون ولا خَفِيُّ حِوارها

أولمبوس : « يحاول أن يتكلم فيمسك به قائد رومانى ويهمس اليه »

أقْصِرْ أخى إن الجماعةَ عَربدت فاذا لَجَجتَ لَفَتَّ من أنظارها
إسلَمْ بنفسك فى الظلام ولا تُثِرْ رِيبَاً أخافُ عليك غِبَّ مَثارها

إنى لأخشى الكأس أن تَجرى دَماً فتُصيبَ شيئاً من رَشاش عُقارها

أولبوس : « لنفسه وهو ينسل الى الخارج »

أوروسُ ! أنطونيو ! حسابُكما غداً روما الأبيَّةُ لم تَنمْ عن ثارها

« يخرج »

أنطونيو : « من أقصى البهو »

أما للرقص هيلا نةُ فى ليلتنا حصّهْ ؟

ألا نَجمَعُ بين الكا س والنغْمة والرقصه؟

فهذى فُرصةُ الأُنـ ـس وقد لا نَرجع الفُرصه

هيلانه : الراقصاتُ يَقمْنا الراقصاتُ يَذبِنا

ولا يَدعْنَ افتنانا ولا يُقصّرْن فَنا

« تقوم الراقصات برقصة مصرية »

أنطونيو : « فادماً »

مرحى مرحى يحيا الفنُّ

صوت : يحيا الرقصُ

آخر : يحيا الحسنُ

أنطونيو :

قد انتصف الليلُ أو فوقَ ذا ك وآذَنَنا بالمُضىِّ الدُّجى

ودونَ الخيـام سُرَى ساعةٍ وعند الصباح تَدورُ الرحى
فهل تَأذَنين لنـا يا مَلا كُ ؟ فلا بد من سِنةٍ من كَرى
ولستُ أقولُ مَلاكى الودا عَ ، ولـكن أقول إلى الملتقى

كيلوباترا :

مكانَك قيصرُ لا تَذهَبَنّ ولا تَبرَحِ القصرَ أَهلكْ أسَى

أنطونيو :

ذَرينى أُعبّئْ للقتال كتائبى فلى فى غدٍ شأنان فى البر والبحر
ذرينى أُهيّئْ للاحاديث فى غدٍ فان غداً يومٌ سيبقى على الدهر
ذرينى أُزِدْ تاجيكِ غارَ وقائعى وأقرِنْ بثعبانىْ جلالهما نَسرى
ولستُ اخافُ الدارعينَ وإنما أخافُ فُجاءاتِ الخيانة والغدر
وليس كَمينَ الحرب ما أنا هائبٌ ولكن كمينَ الغدر فى ظُلمة الصدر

« لاخيل »

فياقائدَ الأسطول هل من مَكيدةٍ تُدبّرُ لى خَلفَ الشّراعِ وما أدرى؟

كيلوباترا: إمض إلى الهيجاء أنـــطونيو كما يَمضى الأسدْ

إن الأسود فى اللّبَدْ دونك فى هذا الزَّرَدْ
إمض إلى المجـد ولا يُقعِدْك شُغلٌ فى البلد

المجـدُ لا يَسألُ عن صاحبةٍ ولا وَلَد
أنت لروما فى غـدٍ وقيْصرونُ بعـد غـد
والشرقُ سلطانى الذى إكليـلُه لىَ انعقَد
يا ليْثُ سِرْ ، يا نَسرُ طِرْ عُدْ ظافراً أو لا تَعُد

« ستار »

الفصل الثالث

« معبد فى الاسكندرية ، يقسم جداره المسرح الى قسمين القسم الاصغر »
« خارج المعبد وتنهض فيه شجرة باسقة والقسم الأكبر داخله وتظهر فيه حجرة »
« الكاهن الاكبر أنوبيس وعلى جدرانها رفوف نسقت عليها حقائق وقوارير »
« وهنا وهناك صرر وصناديق يشف بعضها عما فيه من أفاع وحيات ـ باب خلفى »
« يؤدى الى المعبد . ونافذة جانبية تطل على الفضاء »

« فى حجرة الكاهن أنوبيس »

أنوبيس : « يناجى نفسه »

يقولون أنوبيسُ وَلوعٌ بأفاعيـــه
ومشغوفٌ بثعبانٍ من الوادى يُربّيه
وفى ناديه حَيّاتٌ من الجِنِ تُناجيه
ولو ذاقوا هوى العلـــم كما ذُقتُ فَنَوْا فيه
ألا يا رُب خـدّاعٍ من الناس تُلاقيه
يَعيبُ السُّمَّ فى الأفعى وكلُّ السم فى فيه !

« يخرج من الباب الخلفى »

***

« خارج الهيكل — تحت الشجرة — أنطونيوس وأوروس »

أنطنيوس: أوروس إنى جَهدتُ مَشيا ومَسّنى الضُّر والكَلالُ

فلِ بنا نَستَرِحْ قليلاً من قبلِ أن يدهَمَ الرجال

« يجلس أنطونيوس منهوكا على حجر فتأخذه الذكرى »

أوروسُ ماذا دهانى ؟ حتى نَسيتُ مكانى
أتيتُ ما هَدَّ مجدى وحَطَّ رِفعةَ شانى
جَلّلتُ نفسى بعار يبقى بقاء الزمان
لما حَمَلتُ جوادى على الفِرار ازدرانى
وضَجَّ منِىَ سيفى وضجَّ منى سِنانى
ووَدّتِ الأرضُ تحتى لو طُهِّرَتْ من عِيانى
أنا الذى كان أمضى من الحديد جَنانى
الشرقُ يَدرى نِزالى والغربُ يَدرى طِعانى
كان الملوكُ عبيدى فصرتُ عبدَ الحسان
ولستُ أولَ حُرٍّ إستعبدتْه الغـــوانى

« يسكت لحظة ثم يستمر »

ولم أرَ كالحرب استراح قتيلُها وأفضى الى القَيْد الأسيرُ المُقَيَّد
ولـكنْ شقىُّ الحرب والمُصطَلى بها
إذا انفضّتِ الحربُ الطريدُ المُشرَّد

ولولا اختلافُ الحرب بالناس لم يَهُنْ
عزيزٌ ولم ينزِلْ على القَيْد سيّد

أوروس :

وقارَكَ قيصرُ لا تَجزعنَّ ... وخلِّ المقاديرَ تَجرِ المَدى
تلقَّ الهزيمةَ ثَبْتَ الجَنا ... نِ كما كنتَ تلقى الفُتوحَ العُلا
فما أنتَ أولُ نَجمٍ أضا ... ءَ ولا أنت آخرُ نجمٍ خبا
وقد تنزلُ الشمسُ بعد الصعو ... د وتَسقَمُ بعد اعتدال الضُّحَى
ويا رُبَّ غارٍ عَراه الجُفو ... فُ على هامةٍ قد علاها البِلى
أمالك أنطونيو أُسْوَة ... بيوليوسَ قيصرَ أين انتهى ؟
رأيتك والحربُ تَبْلو الكُما ... ةَ فأشهدُ كُنتَ إلهَ الوغَى
وقد كان سَيفُك غُولَ السيو ... ف وكانت قَناتُك غولَ القنا
وكنتَ إذا الموتُ أفضى اليـ ... ـك تحدّيْتَه فانثنى القَهْقَرَى
وكان جنودُك شَرَ الجنو ... د عليك، وخيرَهمو للعدا
فخانت أساطيلُ أمَّلتَها ... وجيشٌ عَقَدْتَ عليه الرجا
وخُلِّفتَ في عَسكرٍ كالنّعا ... ج كثيرِ الثُّغاء قليلِ الغَنا
فمِن يائسٍ مات قبل القتا ... ل ومن خائنٍ فَرّ قبل اللقا

أنطونيو : إذن لم أكن في الوغى بالجبا ن ولا خُنتُ أوروسُ عَهدَ الهوى؟
وتشهدُ أنيَ أنطونيو س وأني ابنُ روما وأني الفتى ؟
فان عِشتُ عِشتُ نقيَّ الجبيـــن وإن متُّ مِتُّ كريم الثنا

« يرى أنطونيو شبحاً فيسأل أوروس مبهوتا »

أنطونيو : أوروسُ !

أوروس : مولايَ

أنطونيو : تأمَّلْ مَن ترى ؟

أوروس : هذا أو لِمبوسُ وقد حَثَّ الخُطا

أنطونيو : تُريَ إلى أين ؟ ومن أين أتى ؟

أوروس : ها هو سارٍ نحونا ها قد دَنا

« يظهر أولبوس »

أولبوس : تحيةً قيصرُ

أنطونيو : بل أنطونيو لا غير بل قُلِ الشَّريدالمُقتفى
لا تخدعوني قادراً وعاجزاً كفى غروراً بالولايات كفى

أولبوس : مولاى

أنطونيو : لستُ اليومَ مَولىَ أحدٍ أكتافيوالسيِّدُ والعبدُ أنا

مررتَ بالقصر فكيف ناسهُ ؟ هل عن كلوباترا أولبوسُ نَبا ؟
صَرِّحْ، أبِنْ قُل غَدرتْ، قل حَدِّثْ بقيصر الثالث دُولَةَ الهوى
قد صَنعتْ بي عند حاجة الوغى، ما لم يكنْ يصنعهُ بيَ العِدا
أسطولها إلى مراسيه أوَى وجيشُها ألقى السلاحَ ونجا

اولبوس: مولاىَ ! أعْفِنى

أنطونيو : تكلمْ لا تخفْ إنى أرى عليك رَوْعَةَ الأسى

أولبوس:

مولاى مهلاً فى الظنون واتّئِدْ إن من الظن اتهاماً وأذى
أنت على مالك من مُروءةٍ رميْتَ بالغدر أحب مَن وفى

أنطونيو : ماذا تقول ؟

أولبوس: كيلوباترا انتحرتْ بطَعنة الخنجر فى صدر الضحى

أنطونيو :

يا للسماءِ ! انتحرتْ ! أين ؟ أبِنْ ولِمْ ؟ وكيف كان ذاك ؟ ومتى ؟

أولبوس:

مَرَرْتُ بالقصر ضُحَى اليوم فلم أَجدْ له نَظْما ولا حُسنا يُرى

بدا لعينيَّ خَـلاءً موحشا غـيرَ عويلٍ ههنـا وههنا

أنطونيو : إنتحرتْ! يا للخبرْ ! ويا لقسوة القدرْ !

إن الأمورَ انتقلتْ من خَطرٍ إلى خطر

ما غَدرتْ وإنمـا أنا الذى بهـا غَدر

واخجلتا من قولهم انتحرتْ وما انتحر !

إذهب أُولمبوسُ ودعـــــنى والهمومَ والكدر

ما بجِراحات القلو ب للأطبّاء بَصَر

« بدهب أولمبوس »

انطونيو :

روما حنانَك واغفرى لفَتاكِ أوّاهُ منك وآهِ ما أقساك !

روما سلامٌ من طَريدٍ شارد فى الأرض وَطَّنَ نفسَه لهَلاك

اليومَ يَلْقى الموتَ لم يَهتفْ به ناعٍ ولا ضَجَّتْ عليه بواكى

إن الذى اعطاكِ سُلطانَ الثرى لم تُنعمى لرُفاته بثَراك

إن الذى بالأمس زِنتِ جَبينَه بالغار عَقّك جُهدَه وعصاك

يا رُبَّ تاج فى جبينك زاهر عطَّلتُ منـه مَفارقَ الأملاك

الأُمَّهاتُ قلوبُهن رقيقةٌ ما بالُ قلبِك لم يَلِنْ لفتاك !

أعرَضْتِ غَضْبَى فى الحياة فرحمةً ... لا تَحرمينى فى الممات رِضاك
إن كان موتى كُلّ ما تَبغينه ... فهَناك ! هأنذا أموتُ ، هَناك !
يا أُمُّ عُـذرُك فى اتّهام بُنُوّتى ... بادٍ وعُذرِىَ فى العُقوقِ كذاك
لولا الجمالُ وفتنة من سحره ... ما حَلَّ فى قلبى هوًى لسواك
صفحاً كلوبترا فرُبَّتَ زَلَّةٍ ... قد كنت تغتفرين حين أراك
لما لَقيتُك فى الجمال وعزّه ... قَهرتْ قُواى الظافراتِ قُواك
فنسيتُ فى ناديك ذِكْرَ وَقائعى ... وسَلَوْتُ أيامى بيوم لِقاك
سجدتْ لأعلامى الصَّوارمُ والقَنا ... وأبَى مُهنَّـدُ لَحْطك الفتّاك
قدتُ الجحافلَ والبوارجَ فادراً ... ما لى ضعُفتُ فقادنى جفناك
اخرجتِ أمرى واختيارىَ من يَدى ... وتَركتنى نفساً بغير ملاك
خِلتُ السلامة فى نَواك فذُقتُها ... فاذا الكوارثُ كلُّهنَّ نَواك
عاديتُ قومى فى هواك وأضْرمتْ ... روما علىَّ الحربَ من جرّاك
وشَرَدْتُ فى شرق البلاد وجَدَّفى ... طلبى عِداىَ بغربها وعِداك
أغدو على سيف العدوّ وناره ... وأروحُ بين مكامِن وشِباك
وتلمَّستْ نفسى السيوفُ ورامنى ... فى البر والبحر الكميُّ الشاكى
كانت حياتى للرجالِ أليَّـةً ... واليومَ هُنْتُ فأقسموا بهلاكى

ولقد ذهبتُ من الظنون مذاهباً ... فذمَمتُ عهدكِ وانّهمتُ وفاكِ
حتى إذا حُمّ القضاءُ وراعنى ... عُطْلُ المقاصر من بهاء حُلاكِ
ضَحَّيتُ بالدنيا وقلتُ رخيصةٌ ... وبذلتُ أيامى وقلتُ فداكِ
أماناً إلهَ الحرب ما أنت صانعٌ ... بهذا الحُطام المُسْتباح المُبعثَر ؟
لقد ذَلَّ من بعد امتناعٍ كأنه ... بقيةُ نَصْلٍ أو رُفاتُ غضَنْفَر
صَدعتَ أكاليلى وحَطَّمتَ صارمى ... وحرَّدْتنى من أرجوانى المُظفَر
ولم تألُنى هدْماً وكنتَ نَميْتنى ... بناءَ الصَّناع القادر المُتجبّر
ملأتَ سبيلى بالهوى وصروفه ... ومن يَمشِ فى أرض الهوى يتعثر
تنكَّرتَ حتى اخترتَ لى معْولَ الهوى ... فليتَك لم تغضَبْ ولم تتخيَّر

أروسُ غلامى، إنّ فى النفس حاجةً ... وعندىَ أقصى طاعة العبد فأمر

أوروس :

أنطونيو :

أروسُ أرى الدنيا بعينىّ أظلمتْ ... وكانت قديماً كالصباح المنوّر
وضاقت بىَ الأرضُ الفضاءُ فكلُّها ... سبيلُ طريدٍ ضائع الدَّم مُهدَر
غوَيتُ وأوْفَى بى على الحُفرة الهوى ... فخفتُ ومن يركبْ شَفا الجُرْف يُذْعَر
قُشعريرةُ الخوف اعترتْنى ولم تكُنْ ... إذاما اقشعرَّتْ تحتى الأرضُ تُعترى

مُلئتُ من الأحداث رُعباً فضُمَّنى ... اليك وقرِّبْ من إزارك مئزَرى
أرى الموتَ ممدودَ اليدين كمُنقذٍ ... لمثلىَ من غرقى الحياة مُسخَّر
دعانى ، ولو أنى على النفس مُشفقٌ ... مددْتُ إليه الكفَّ لم أتأخَّر
أُروسُ أرى الماضى يُطيفُ خيالُه ... وتعرِضُ لى أحلامُهُ فى التذكر
ذكرتُ بروما أرْبُعِ وملاعبى ... وأين ضفافُ النيل من شطِّ تَيْبَر ؟
وأيامَ يدْعونى الهوى فأُجيبُه ... وَينفُخ فى البُوق المنادى فأنْهَرى
فتنْتُ الغوانى بُرْهةً وفتنَّنى ... ولكننى عن سؤددٍ لم أُقصر
فهمّةُ قلبى فى شرابٍ وصَوْتةٍ ... وهمَّة نفسى فى عَلاءٍ ومفْخَر
أُروسُ تواقفنا على كل غمْرةٍ ... وكلّ مجالٍ ثائرالنَّقْع أكْدَر
وفى مِهْرَجان الفائحين وعُرسِهم ... وتحت لِواءٍ أو على عُودِ مِنْبر
فمالتْ بنا الدنيا فصِرْنا بموقفٍ ... شديدٍ على الأبطال بالذل مُشعِر
نرى الأرضَ فيه والسماءَ تناهتا ... الى فلَكٍ نَحْسِ الجهاتِ مُسمَّر
فكيف مُقامى يا أُروسُ على الأذى ... وصبرى على العيْش الذليل المكدَّر!

أُروس :

أجلْ قيْصرُ اعتضْنا من العزّ ذِلَّةً ... ومن حِلْيةِ الأعلام عُطْلَ التَّنكُّر
فهُنَّا كأنقاض الحصون على الثَّرى ... وضعنا عليه كالقنا المُتكسِّر

نهيمُ كأبناء السبيل وطالما أخفْنَا سبيلَ العاهلِ المُتكبِّر
وما مَنزِلُ الأبطال إلا رَحَى الوَغى إذا هى دارتْ أورِواقُ المعسكر

أنطونيو:

فماذا ترى أوروسُ ؟

أروس : رأيُك أوّلٌ وعندك تُرجى نظرة الصدق فانظر
لقد عِشتُ ظِلًّا لا أرى غيرَ ما نَرَى ولا حيرَ فى الرأى التَّبيع المُسيَّر

أنطونيو:

أروس أنا الأعمى وأنت هى العصا فخذْ بزِمام العاجز المُتحيِّر

أروس :

أرى ما يراه العاجزون إذا جرى على النفس محتومُ القضاء المُقدَّر

أنطونيو:

وماذا يقولُ العاجِزون إذا ابتُلُوا ؟

أروس : يقولون حُكْمُ اللهِ يانفسُ فاصبرى

أنطونيو:

أروسُ يقومُ العاثرون وقلّما يُقالُ عِثارُ الكوكب المُتغوِّر
أرُوس ألم تفهم؟ هو الذلُّ فاشفى بِصَرْبةِ سَيْفٍ أو بِطَعنةِ خَنجَر

فإنك حرٌّ إن فعلتَ وفائز بسيفى وأثوابى ودِرْعى ومِغْفَرى

أروس :

مَعاذَ خلالِ البرِّ مولاى ! أعْفِنى فليس يدى تَقْوَى ولا السيفُ يجترى
وأنت الذى لو بِيعَ بالروح وُدُّه ومالى سوى روحى تقدَّمت أشترى
لآلهةِ الرومان أشكوكَ قيصرى ظَلمْتَ فلم تُنصِفْ وَلائى وتَقْدُر
أتجعلُ فى الميزان حُبِّى وطاعتى وشَنَّ عُروضٍ من ثيابٍ وجَوْهر؟
لقد حاد لى بالسيف والدِّرع قيصرٌ

« يطعن نفسه بخنجره »

وجُدتُ بأيامِ الحياةِ لقيصر

أنطونيو:

أوروسُ عفواً قد ذهبتَ ضحيةً وجَنَى عليك تَرددى المقوتُ
فعلمتَ منى كيف يَجبُنُ قيصرٌ وعلمتُ منك العبدُ كيف يموتُ

« يطعن أنطونيو نفسه فيخر على الارض جريحا »

« ينتقل المشهد الى داخل المعبد حيث يدخل أنوبيس الى حجرته ويناجى أفاعيه »

أنوبيس :

هَلُمَّ لكنَّ بناتِ التلا ل وجنَّ الخرائب من صَالْحَجَرْ
تَبدّلَ من حولكنَّ المكا نُ وأين القِفارُ وأينَ الحُجَرْ !

فعلمت منى كيف يجبن قيصر وعلمت منك العبد كيف يموت

(صفحة ٦١)

يدُ العـــــلم وهى حديديةٌ حوَتْـكنّ من جَنَبات الحفَر
وجاءت بكن إلى حُجرتى أُسارَى القوارير رَهنَ الضُّرَر
أرابنىَ الناس فى أمركنّ وصِرتُ حديثَهمُ والسَّمَر
وقيـل أنوبيسُ حاوٍ تسيـــلُ إليـه الأفاعى إذا ما صَفَر
وما فتنتى بُجلودٍ لَـكُنّ مُرَقَّشَـــةٍ كإهاب النمر
ولا بهيا كلَ مثـلِ العِصِىّ من اللحم لا من فروع الشجر
ولا برءوس كَدِقّ الحَصا ولا بعيونٍ كوَقْدِ الشَّرَر
ولـكن أزاولُ عـلم السمو م وعلمُ السموم جليلُ الخَطر
لقد كان لى فى مُعاناته تجاريبُ أنفقتُ فيها العُمُر
الى أن نجحتُ ، نعم قـد نجحـــتُ وعاقبة الصابرين الظَّفَر
فـكم قد شفيتُ بطبى اللّديـــغَ وأيقظتُ من نَزْعهِ المُحتضر
فقيل إلهٌ أعاد الحيـــا ةَ إلى المَيْتِ او خِدْنُ جنٍّ سَحر
صَنعتُ من السم ترياقَه وقـد يختفى النفعُ تحت الضرر
وأنتُنّ والناسُ قـد تلتقو ن ففيكُن شرٌّ وفى الناس شر

« يدخل حاجى حلسه »

أنوبيس :

وتقتلُنَ عُمْيَ عيون السلا ح وَيقتلُ قاتلُهم عن بصرْ
لِسانُ ابنِ آدمَ أو نابُكنّ كِلا السائلَيْن لعابُ القدر

حابى : سلامٌ أبتِ

أنوبيس: حابى ؟ سلامٌ لكَ يا حابى

حابى : أمشغولٌ أبى اليومَ بذات القَرْن والناب
وأنطونيوس مهزومٌ واكتافيو على الباب ؟

أنوبيس: « باستخفاف وهو يشير الى أفعى »

حابى تقهقر ناحيهْ تلك الخبيثةُ داهيهْ !

« يتقهقر حابى قليلا بينما يلهو الكاهن أنوبيس بالحقاق والقوارير »

تلك القوارير وذى الحقاقُ غَوْثٌ الى مُستنجدٍ يُساقُ
لكل سُمٍّ عندها ترياق !

حابى : أبتى ، مَن للرّعيّهْ من لأوطانى الشقيهْ ؟
خَلِّ حَيَّاتِك فى الأسفا ط واشعُرْ بالرزيّه
بعد حين تملأ الوا دى الأفاعى البشريّه
أبتى . نحن من اليو م عبيدُ القيصريه

أُدنِ أُذَنيْـك على قُدْسها من أُذُنيـهْ
واسمع البوقَ تَجِدْ مِن أَحرُف الرقِّ دَويه

أنوبيس: حابى تَقبّلْ هذه القِنّينهْ واقبِضْ عليها بيدٍ صنينه
فانها ذخـيرةٌ ثمينهْ !

حابى : « لنفسه »

يا لَلسمـاءِ لأبى ! تُراه يَسْتهزِئُ بى ؟
ويحَ له ، عساه جُنَّ أو لعـــله نبى
أوحتْ له السماء علـــمَ غَيْبها المُحَجّب
يَعلمُ من يُلدَغُ من رَقطاءَ أو مِن عَقرب
لأحْمِلَنّ حُقّـه مثلَ تَميمةِ الصّبى
يا لكَ شيخاً طيّباً يأتى بكل طيب !

« مخاطباً أنوبيس الـكاهن »

رِيعَ الحِمَى أبى ، فكيـــف للحِمَى لم تَغضَبِ ؟
دعِ الأفاعى واشتغِلْ بالأفعُوان الأجنب
الوطنُ المَلدوغ أوْ لىَ اليومَ بالمُطَبِّب

أنو بيس: وأين كنت يا فتى وأين فتيانُ الحِمَى ؟
وأين فُرسانُ المقا ل هل مَضَوْا الى الوغى؟
أدرتُمو وجوهَكم ساعةَ دارتِ الرحى
تركتمو أنطونيو سَ وَحدَه يلقى العِدا
من أجلكم سلّ الحُسا مَ والى الحرب مشى
ما كان ضرّكم لو الـــتففتمو على اللِّـوا ؟
ا بعد أن حلّ على النيـ ـل ووادیه القضـا
ولم يَجِـدْ من شِيبهِ ولا شـبابهِ فِدا
ا تيتَ تَدعونى كما تدعو العجائز السما
الرأىُ ليس نافعاً إذا أُوانُهُ مضى

« تدخل جندى من حرس الملكة »

الجندى : مولاى ، ذاتُ الجلاله

أنو بيس: المَلِكةُ الآن عندى ؟

« تدخل كيلوباترا فى حاشيتها »

كيلوباترا: تحيـةً يا أبتِ

أنو بيس : سيدتى فى حُجرتى

مُرِى بما شئتِ يَكنْ وإن تحدّى قُدرتى

كيلوباترا :

أبى أعلمتَ أن الجيشَ وَلّى وأن بوارجى أبتِ المُضِيّا

أنوبيس :

علمتُ وكان ذلك فى حسابى وذا حابى به أفضى إليّا

كيلوباترا :

وهل نَبّاك عن أنطوبيوس وكيف جرتْ هزيمتُه عَليا
وما أدرى أأردوْه قتيلاً صباحَ اليوم أو أخذوه حيّا ؟
أبى دهب الحليفُ فكُنْ حليفى فقد أصبحت لا أجدُ الوَليّا
أبى حفتْ الحوادثُ

أنوبيس : لاتُراعِى لَماةُ النيل ليس تخافُ شَيّا

كيلوباترا :

أبى لا العزلَ خِفنُ ولا المنايا ولكن أن يَسيروا بى سَبيّا
أيوطأ بالمَناسِم تاجُ مصرٍ وثَمّتَ شعرةٌ فى مَفْرِقيّا ؟

أنوبيس : « باستخفاف »

لتأت المقاديرُ أو فلْتذَرْ تعالىْ كلوباترا ألقى النظرْ

كيلوباترا :

أفاعٍ ؟ أبى ، نَحِّها ، أَخْفِها ؟ أعوذُ بأيزيسَ من كلّ شرْ
فماذا تريدُ باحرازهن وهل يقتنى عاقلٌ ما يَضر ؟

أنوبيس :

أتيتُ بهن لدرس السّمو م ولم أَخْلُ فى علمها من نظر
أداوى بها أو بترياقها مُحِبَّ الحياة أو المستحِر

كيلوباترا : « كأنما تحدث نفسها »

محب الحياة أو المنتحِر !
كفى أيها الشيخُ ! بل هات زِدْ فما بىَ خوفٌ ولا بى خَوَرْ
و إن تَكُ بى خشيةٌ فى النسا ء فلى جُرْأةُ المَلِكات الكُبر
تكلّمْ فليست سمومُ الأرا قم فى الخُبث دون سُموم الشر
فيارُبَّ صَفْوٍ سقَيْتُ الرحا لَ فلما تَرَوَّوْا سقوْنى الكدر

أنوبيس :

قِصارٌ وهُن سهامُ المَنو ن ولبس يعيب السهامَ القِصَرْ
تَمَسُّ الفريسةَ مسّ السنا ن وتمضى مَضاءَ الحسام الذَّكَرْ
وكلُّ الذى لَمستْ مَقتَلٌ ولو أنشبت نابَها فى ظُفُر
إذا جرَحَتْ لم تَقُمْ عن دم كذلك يجرحُ سهمُ القدر

ومائتُها لا يُحِسُّ المنو نَ كمَن مات فى النوم لا يُحتَضر

كيلوباترا : « مرددة قوله فى صوت خافت »

ومائتُها لا يُحِسُّ المنو نَ كمن مات فى النوم لا يُحتضر !

ولكن أبى هل يُصانُ الجمال ؟

أنوبيس : نعم لا يَحولُ ولا يَندثر

كيلوباترا :

وهل يَطفأُ اللون ؟

أنوبيس : لا بل يُضىءُ كما رفَّ بعد القِطاف الزَّهَر

كيلوباترا :

وهل يُبطِلُ الموتُ سِحرَ الجُفو نو يُبلِى الفُتورَ و يُفنِى الحَوَرْ ؟

أنوبيس :

كعهد العيون بطَيْف الكرى إذا الجَفنُ ناء به فانكسر

كيلوباترا :

أبى ، والشفاهُ ؟

أنوبيس :

لواقى الذَّبو ل كما احتُضر الاقْحُوانُ النَّضِر

وما الموت أقسى عليها فما ولا قُبلةً من عوادى الكِبر

كيلوباترا :

وما عَضّة الناب ؟

أنوبيس :

وَخزٌ أخفُّ وأهْوَنْ من وَخزات الابر

كيلوباترا :

وما شَبَحُ الموت ؟

أنوبيس :

مادا أقولُ ؟

كيلوباترا : تُمَثِّلُهُ لى كأنْ قد حَضر

أنوبيس :

زعمتِ ابنتى الموتَ شخصاً يُحسّ وعَظَّمتِ من خَطْبه ما صَغُر
وما هو إلاّ انطفاء الحيا ةِ وعَصْفُ الردَى بسراجِ العُمُرْ
وليس له صُورةٌ فى العيو ن على قُبْحِ صُورته فى الفِكَر
إذا جاء كان بَغيضَ الوجو ه، وإن جىء كان حبيبَ الصُّوَرْ

كيلوباترا :

إذن هذه الرُّقْطُ فى ذمتى فصُنْها وأحسِنْ عليها السهر

وأقسمْ لَتَـأتِ إلىّ بهن ولو أن دونى الظّبا والسُّمُر

أنو بيس :

يمبناً بأيزيسَ أحمِلُهن إليك ولو فى سِلال الخُضر
إذا بات فى خطر تاجُ مِصـــرَ سبقتُ إليك بهن الخطر

كيلوباترا :

أتجعـلُ لى يا أبى آيةً أميزُ الرسولَ بها إن حضر ؟

أنو بيس :

هـو التين أبعَثُ حابى به وبالرُّقط بين عُضون الثمر

* * *

ابنتى ذلك مجرا بى ادخليه للصّلاهْ
واسكُبى الدمعَ عسى أن يَقبَلَ الدمعَ الإله
هو ذو المُلْك الذى يبقى ويفنى ما سواه

« خارج الهيكل - ثلاثة جنود رومانية »

الجندى الأول : تحيـا روما يحيـا قيصرْ
الجندى الثـانى : روما العُظمى أبدا تنصَرْ
الجندى الثالث : ماذاك ؟ مافوق الطريق ؟ ما أرى ؟
مِيـلا رفيـقىَّ معى لننظرا

الأول : هناك مقتولان ضَرَّجا الثرى

الثانى : نعم أرى ثَمَّ دما وخنجرا
وهيكلين من حياة أقفرا

الثالث : جُبِتَارُ يامصرِّفَ الحروبِ بارِكْ لنا فى هذه الجيوبِ !
وابعثْ لنا بالذهب المحبوبِ

الأول : ياعَجَبَ الأقدار! أنطونيوسُ؟

الثانى : أنطوبيو ! أجلْ وذا أوروس !
وأحسَبَ السيد مات بيدهْ ثم حـذا العبدُ مثالَ سيِّده
لهفى على أنطونيو فى مرقدهْ

« ينثر أنطونيو ثم يحرك رأسه ويتبين الجنود »

أنطونيو :

ويحى أحىٌّ أنا جريحُ ؟ ماذا يُريدُ القضاء ما ذا ؟
جنودُ أكتاف أدركونى ياليتنى مِتُّ قبل هـذا

حندى :

لا بل جنودُك لكن خانوك حُبـاً لروما

آخـر : وما نَسُوك عليهم تحت اللواء زعيما

ترمى بهم مَطْلَعَ الشمـــس أو تَؤُمُّ النجوما

أنطونيو :

يا جنودى وصحـابى ليس ذا وقتَ العتابِ
اتركونى وعذابى

« يغمى عليه »

حندى :

لهَفى عليه عاده الإغماء وأوشكتْ تنزِفُه الدماء
وليس إسعافٌ وليس ماء

آخر : هَلُمّا احملاه هَلُمّا احمِلا وجيئا بمولا كما الهيكلا
وأمضى فأُبلِغُا كتافيو الـــحديثَ أُعرِّفُه المنزِلا

« فى حجرة الكاهن — كيلوباترا والكاهن والحاشية عائدين من المحراب »

كيلوباترا :

أبى دخلتُ ونفسى حَيْرَى الزِّمامِ حزينهْ
وقد تركتُ المُصَلَّى ومِلْءُ قلبى سكينه
إن الصَّلاةَ على شـد ة الزمان مُعينه

« يسمع صوت الجند من الخارج »

كيلوباترا :

ما تسمعون أصيخوا شَرٌّ وهـذا بَريدُهْ

كان الضجيجُ بعيداً والآن يدنو بعيدُه

حابى :

أسمعتم ! ضجةَ صاحبةٌ وجريحٌ وجُنودٌ فى الطريقْ

ها همو قد دخلوا الدار »

أنو بيس: دارُنا الشاطئُ لا يأبَى الغريق

حابى :

ها همو قد حضروا

أنو بيس: يا مرحبا أعدُوًّا كان أم كان الصديق

« يدخل الجنديان اللذان يحملان انطوبيوس »

كيلوباترا :

ويْحَ عينى ماذا ترى ؟ ومن المحمو لُ كالسيف فى الأَكفِّ خضيبا ؟

أيها الجنـدُ ما بأيديكم اليوم ؟

جندى : جريحٌ على الطريق أصيبا

كيلوباترا :

أفتدرون مَن حملتم ؟

جندى : حَمَلنا هَيكلا عزّ فى الرحال ضريبا

قد عرفناه خيرَ من هزّ رُمحاً ونضا صارما ولاقى الحُروبا

« تتأمل كيلوباترا فى وجه الجريح »

آه أنطونيو ! حبيبي أدركوني بطبيب

(صفحة ٧٦)

كيلوباترا :

آه أنطونيو ! حبيبى أدركونى بطبب
ما تروْن الأرضَ تروَى من دَم الليث الصّبيب
أبت ، أين قوى طِبِّـــك والسحر العجبب
هو فى إغمـاءة الجُر ح فنبِّهْهُ بطيب
هو ذا يفتحُ عينيْـــه ويُصغِى لنحيبى

أنوبيس : « محاول اسعاف الجريح »

تلك أنفاسُه توالَى وهـذا حسمهُ لا يزال غضّا رطيبا
هو ذا قد تخلّجتْ شفتاه وتهيّـا لسانُه ليثوبا
أيهـا المَلـكةُ ارفُقى بجريح بات تحت الرداء جُرحا صَبيبا
لا تناديه بالدموع مِرارا ربما ضَرَّ جُرحَه أن يُجيبا

أنطونيو :

كيلوباترا ! عَجَبٌ ! أنتِ هنا! لم تموتى . . هم إذنْ قد كَذَبوْ

كيلوباترا :

سيدى روحى حياتى قيصرى ! أنت حىٌّ ؟

أنطونيو :

بعد حينٍ لا أكونْ

كيلوباترا :

من نَعانى كَذبا ! من قالها لك !

أنطونيو : أُولبوسٌ النذلُ الخَوون

مَرَّ فاستوقفتُه أَسأله فال ماتتْ فتجرّعتُ المَنونْ

كيلوباترا زوّديني قُبلةً من ثناياكِ العذابِ الشَّبِمات

وأضيئي بسَناها مُقلةً يُسْدِلُ الموتُ عليها الظُّلُمات

سيقولُ الناسُ عنى فى غد منا ولى الرحمةَ أَوأَهل الشَّمات

بَطلٌ لم تَظفَرِ الحربُ به فى الهوى تحت لِواء الحب مات

« يسلم الروح »

كيلوباترا :

قد تَداعى مِحْوَرُ الأر ض وميرانُ الشعوبِ

مال كالشمس جمالاً وجلالا فى الغروب

أَيها المجروحُ لو تد رى جُروحى ونُدوبى

أَيها الذاهبُ قد آ ن عن الدنيا دُهوبى

أَيها الخالصُ وُداَ ليس وُدّى بالمَشوب

أَيها الصادقُ وعداً ليس وعدى بالكَذوب

عن قريب ينطوى القبـــــرُ علينا عن قريب
كلّلوه بالريا حين وبالغار الرطيب
واهتفوا فى أذنيـه بأناشيد الحـروب
واحبيباه ، جاءه الموت فاستسْـــــلم لا يستطيع إلاّ ذهوبا
كان ما خفتُ أن يكون وحلّتْ نكبة لم تفاجىء المنكوبا

« تستوى قائمة »

أيها الخلـدُ مات قبصرُ فابكوا معىَ السيدَ الجَسورَ الوَهوبا
شَبِّكوا ساعديْهِ من فوق صدر كان فى الرَّوْع بالمنايا رحيباً
واعرِضوا سيفَه على راحتيْه وارْكزوا الرمحَ من يديْه قريبا
لا بل امضوا لشأنكم جُندَ روما ودَعونى وسيفَ روما السّليبا
أنا وحـدى له ديارٌ وأهـلٌ إن دعا دارَه ونادى النّسيبا

« ينسحب الجنود »

ويح لى قد طلبتُ عند طِباع النا س ما عَزَّ عنـدهم مطلوبا
خَلَق الناسُ للقَوِىّ المزايا وتجنَّوْا على الضعيف الذنوبا
إحتفوْا فى الحياة والموت بالغا لب فانظُرْ هل عَظّموا مغلوبا
شيّعوا الشاةَ جِيفةً بمُداهم واتّقَوْا وهْو فى الرِّمام الذّيبا

أنوبيس :

الوقار الوقارَ يالبأْةَ النيـــــل ولا تجعلى الزّئير النحيبا
وقفِى للخُطوب فى عِزّة المُلـــ ـك وفى كِبْره تُذِلّ الخطوبا

« يدخل جندى من جنود كتافيوس

الجندى :

قيصر أكتافيوسْ آت يعودْ أنطونيوسَ قيصرْ

كيلوباترا :

قيصر ! فر الأسير منـــه مَن فى حمى الموت ليس يُؤسر

« يدخل اكتافيوس ومعه جنود »

اكتافيوس :

سلامٌ مَلْـكةَ الوادى سلامٌ كاهنَ المُلْكِ
يقولُ الناسُ أنطونيو هنـا لم يَبتعِدْ عنك

كيلوباترا :

نعم لم نَفترقْ بعـد وإن أمعن فى تركى
وهـذا الجسد الفانى جَلاء الرّيب والشك

اكتافيوس :

إذن قد قُضِيَ الأمـــرُ وصار الليثُ للهُلْك
كلوباترةُ لا تَخشَيْ فلن آخذَه مِنك !

كيلوباترا :

أبِى تَهزا أم بالمَيْيـــتِ أم بالموقفِ الضَّنك
إن اسطعَتَ على ما لك من بَطش ومن فَتك
وما حَوْلك من خيل وما تحتك من فُلْك
فخُذْه من يد المو ت ومن عاجزة تبكى !

« بدنو جندى من جنود اكتافيوس ليحقق موت أنطونيوس »

كيلوباترا :

مكانَك يا عبدُ لا تَهتِكنّ على سيد الهالكين القِناعْ
تُريد لتَكشِفَ عنه الغِطا ، عسى تحته حِيلةٌ أو خداع
عَبَثَ به وهو تحت الطّيا لِس مُلقَى السلاح قليلَ الدفاع
ولم تَحتشِمْ بُقعَاً من دم عليهن تَحسُدُ مصرَ البقاع
رُويدَك ، ما الموتُ مُستبعَدٌ ولاهو مستغرَبٌ من شجاع
وإن التماوتَ فعلُ الثعا لب ليس التماوتُ فعلَ السباع

اكتافيو :

أباتَك سيدتى إنه فتى طاهرُ القلب حرُّ الطباع
أراد ليحتاطَ لى جُهدَه ويُخلصَ فى خدمتى ما استطاع
تَنحّ أخا الجندما أنت والميـــت !لايَقْرَبُ الشمسَ إلّاشُعاع!
أتأذَنُ سيدتى أن أطيـــف بحدِّ الصّدام رفيق الصّراع؟
ومن كنتُ تحت القنا طِلّهَ ومن كان ظِلّىَ تحت التِّراع
وكنا نَشيد لروما الفخا رَ ونجْنى لها العار من كل قاع
وبأنى القِلاعَ فنحتلها وإن بعُدتْ كالنجوم القلاع
ونَركزُ فى السهل أرْماحَ روما ونُطلِعُ أعلامَها فى اليَفاع ؟
بأدبك ؟

كيلوباترا :

قيصرُ لا إدنَ لى أينهى ويأمر من لا يطاع ؟
تصرَّف بجُنمازِه كيف شئ تَ فليس له اليومَ منك امتناع
وما جُثّةُ الليث الآ لقَ إذاالنابُ طاحت أوالظّفْرُ ضاع؟

« يتقدم اكتافيوس فيرفع القناع عن وجه أنطونيو »

اكتافيوس :

لقـد حسَم الموتُ ما بيننا وغَضَّ اللَّجاجَ وفَضّ النزاع
فمن حَقِيَ اليوم بل واجبٌ على أُقدِّسُهُ أن يُضاع
اقبِّلُ ما قَبَّل الغـارُ منـ ـكوأهتفُ أنطونيوسُ الوَداع

« سـار »

الفصل الرابع

« فى القصر الملكى ، فى غرفة العرش ، شرفة مطلة على البحر . كليوباترة متكئة على حافة الشرفة ، شرميون وهيلانة فى اقصى الحجرة تنهمر من عينيهما الدموع »

كليوباترة : « كأنما تناجى نفسها »

نام «مَرْكُو» ولم أَنَمْ ... وتفـــرّدتُ بالألمْ
ليت جُرْحى كجُرحه ... لَقِيَ الموتَ فالتآم
قاتَلَ اللهُ ماضـياً ... قَتل المُفرَدَ العَلَم
أنطوانُ انفُضِ الكرى ... ساعةً وانقُلِ القَـدم
قمْ كأمس أغنَمِ الهوى ... واشربِ الراحَ بالنَّغم
وتَخَيَّرْ على المُنَى ... وتمتَّعْ من النِّعم
واغمرِ الأرضَ بالقنـا ... وتغلَّبْ على الأمم
وقُدِ الخيلَ فى الوِها ... د وثباً إلى القِمَم
أيهـا العينُ أبصِرى ... إنما كنتِ فى حُلُم !
يا شرميون بلغنا موْقفاً حَرَجا ... لا الرأىُ ينفعنا فيه ولا الباس
لم يَبقَ ثَقبُ رجاء كنت أَلمحُه ... إلاَّ تعرّضَ حتى سدَّه الياسُ

« تلقى نظرة على الاسكندرية من الشرفة »

نجمي يُحدّثني بوشْك أُفوله ... إسكندريةُ : هل أقولُ وَداعا ؟
وَشَّيْتُ بُرْدَك جدولاً وخَميلةً ... وكسوْتُ بَحرَك عُدَّةً وشِراعا
وأنا اللَّبـاةُ وقد ملأْتُك غابةً ... وأنا المَهـاةُ وقـد ملأْتُك قاعا
قد خِفتُ من بعدى عليكِ ممالكاً ... يُطلِقْن فيك الفاتحين سِباعا
يَأتين زرعَك بالرّياح عواصفاً ... ويجئنَ ضَرعَك بالذئاب جياعا
فاذا الحضارةُ بعد طول بنائها ... قد دُكَّ ركنُ بنائها وتداعى

شرميون :

بإيزيسَ سيدتى بالوَلا ... ء بطول التعاشر والمُصطحَبْ
بمالى ببالك من خـدمة ... ومن صُحبةٍ تُشبِهان النَّسب
على أى وجـهٍ أدَرْتِ المصيـ ... ـرَ وقَلَّبت رأيَك فى المُنقلَب ؟
فهـذا السكونُ يُثيرُ الشكو ... كَ وهـذا الهدوء يثيرُ الرّيَب
وماذا اعترمت ؟ وماذا كتمـ ... ـت ؟ أبِينى فما بيننا من حُجُب
ولى فى حيـاتِك رأىٌ يُسا ... قُ وليس علىَّ إذا لم يُصِب

كيلوباترة :

إذن فاذكرى أن خصمى العتيـ ... ـدَ يخافُ انتحارى ويخشى الهربْ
وليس الذى يَشتهِى لى الحيا ... ةَ ولـكن له فى حيـاتى أرَب

له فى غـدٍ مَوْكِبُ الفاتحيـ ... ـن إذا أقبلوا فى جلال الغَلَب
يَجرُّون فى رومة الأرجوا ... نَ وقد بَرَزتْ فى الثياب القُشُب
وتزدانُ بالغـار هاماتُهم ... إذا ارتفعت فى الخميس اللَّجِب
يُحاولُ قيصرُ منى المُحا ... لَ ويذهب فى غير وجه الطلب
يُرِيدُ ليَعرِضَنى فى غـد ... على شعب روما كأنى سَلَب
ويفضحُ مصر وسلطانَها ... وتاجَ العصور وعرشَ الحِقَب
لقـد سـاء تدبيرُ اكتافيو ... سَ ولم يَلقَ من خُدعتى ماأحب !

« تسمع وطء أقدام »

ما ذا وراء الباب ؟

شرميون :

حسٌّ قادِم

هيلانة : أجـلْ دبيبُ حارس أو خادِم

كيلوباترا :

بل حارسٌ جافٍ ... من حَرَس القصرِ
مُعـربِدُ الخَطو ... من نشوة النصرِ
لا تسعُ الأرض ... رِجليْهِ من كِبْرِ

شرميون :

مَلْكتى دعى هذه الفِكَرْ
جندُ رُومةٍ يَعْبُدُ البِدَرْ
فى سبيلها يركَبُ الغرَرْ

كيلوباترا :

شرميون صَهْ إنه حضَرْ

« يدخل حارس »

الملكة : ماذا وراءالجندى؟

الحارس : رسالة من عبد

هل تأذنين ؟

الملكة : أدِّ

الحارس : أيها المَلْكَةُ قد جا ء إلى القصر غلامْ
فى ثياب الحقل حُلوُ الـ شكل ممشوقُ القوام
حادل الحُرّاسَ فى حِذق ورفق بالكلام
يدَّعى أن أباه كان عبداً للمَقام
ناله بستانُ تينٍ من أياديك الجِسام

فهو يُهدى لك باكو رته فى كل عام

الملكة : « هامسة »

شرميونُ ذاك حابى وجَنـاه فى يمينـهْ
جاء فى الميقات يُهدى لىَ باكورةَ تبنه

« للحارس »

ألا تَقْبلْ يا حا رس منى هذه البَدْره ؟

الحارس : بشكران وهيهـا ن على الشكران لى قُدره

الملكة : والآن لو تُحْضِرُ لى الفلاحا لعلهُ يُحدث لى انشراحا
إنى نسيت البَسط والمزاحا

الحارس : علىّ السمع والطاعه سآتيـك به السـاعه

« يخرج الحارس »

الملكة : يا شرميونُ تعلّمى الدنيا و يا هيلانة اختبرى الزمانَ القاسى
إن التى حُرستْ بأبطال الوغى باتت تُصانِعُ سفلةَ الحراس

« يدخل حابى فى ثياب فلاح »
« ومعه الحارس »

هيلانة : « همسا »

حابى نعم وتلك نظرتهْ وهذه مِشيتُهُ وخَطرتُهْ
ياليت شعرى ما تـكون سِلنهُ ؟

حابى : تحيـ ـةٌ للملكهْ ونعمـةٌ وبَرَكهْ
ونفسُ عبـدها لها وكلُّ ما قد ملكه
سيدتى جئت الى بحرك أهدى سمكه
أجملُ تينا ولو اسـ ـطعتُ حملت مملكه

حابى : سيدتى

الملكة : ادنُ فانه ابتعـدْ وقلْ فما يسمعُ غيرَنا أحدْ

حابى : سيدتى

الملكة : حابى ، أنو بيسُ اجتهدْ لنا وأنجز الغداة ما وعدْ!
يُريدُ أَن يَشفيَنى مما أجـد وأن يقى مملكتى عارَ الأبد
جئتَ كما يأتى لوقته المدد
وَفَيْتَ لى حابى ولم تكنْ تَفِى ضع السِّلالَ وانصرِفْ لا بل قِفِ
حتى ترى كيف يكونُ مَوقِفى

« تلوى نظرة على السلال »

ما لى مُلئتُ من المنيَّة رهبةً ؟ إن المنيةَ فى رِقاب الناسِ
آسى الجراح جَزِعتُ عند لقائه والنفسُ تَجزَعُ من لقاء الآسى

انى طويتُ بِساطَ كل مُدامة لم يبقَ الا شربُ هذى الكاس
يا خادمىّ بل ابنتىّ تلطّفا فى البحث حتى تأتيا بأياس
فعسى يُغنّينى نشيدَ الموت أو نغما أَجود عليه بالأنفاس

شرميون :

مَلْكتى نادى أياسا إنه بالقُرب منكِ
هو فى المقصورة الأخـ ـرى مع الباكين يبكى
فكرُه فيكِ ولا يَجـ ـسُر أن يَسأَلَ عنك

الملكة :

ياوَيحَ صَحبىَ بعد طول سرورهم قعدوا إلى أحزانهم يبكونا
جيئى بهم يا شرميونُ لينظروا جَلدى فيَهدأَ بعضُ ما يَجدونا

« تخرج شرميون »

كيلوباترا — « تنحى على زنبقة فى أصيص »

زَنبقةٌ فى الآنيهْ ضحيـــــةُ الأنانيهْ
جَنَتْ عليها غُرْبةَ الأسر الأكُفُّ الجانيهْ
وبُدِّلتْ من سَعة الـــرَّبْوَة ضيقَ الباطيه
يَسقونها من جَرَّة بعد العيون الجاريه

يا جارتا شأنك لا يُشْبِهُ الا شانيه
لم يبق من مُلكى العريـــض غيرُ دار خاويه
وكُلُّنـــا ذابلةٌ عما قليل ذاويه
زال النعيم وفرغـــنا من حياة فانيه

« ترجع شرميون ومعها أياس وأنشو وغيرهم »

الملكة : « الى أنشو »

أنشو يَعـزُّ على أنك ساهمٌ يبدو عليك الهمُّ والتفكيرُ
أنشو ألا قَوْلٌ يَسُرُّ وضِحْكةٌ إن السعيدَ الضاحكُ المسرورُ
قد كان أيسرُ ما صنعت يسرنى أعلى سرورى اليوم أنت قدير ؟
أنشو : سيدتى جرى بما فيه سرورُك القدرْ
من لا تسرُّه السما ء لا يسره البشر
الملكة : أياسُ هل من صوتِ ؟ غَنِّ نشيدَ الموتِ

« أياس يغنى هذا النشيد »

يا طيبَ وادى العدَمْ من منزلِ
لم تَمشِ فيه قدمْ للعُزَّلِ وادٍ خَلِ
أنا فيه لحبيبى وحبيبى فيه لى

***

يا موتُ مِلْ بالشِّراعْ واحملْ جَريحَ الحياهْ
سِرْ بالقلوع السِّراع إلى شُطوط النجاه

⁂

شِراعُك الفِضّي فى لُجّـه التبّرى
كالحُلْمِ فى الغَمَضِ يجرى ولا يجرى

⁂

فى ظل ليـل ساجْ أقسم لا يَسرى
مُغَلَّلِ الديبـاجْ مُطيَّبِ السِّـتر

⁂

فى يقظةٍ يَظهـرْ لى أم أرى حُلْمَا
فُلْكٌ من الجوهر يَخترِقُ الظَّلما

⁂

على الدحى لَمّاحْ تَحسَبُهُ نجمـــا
ليس به مـلّاح يسلُـكه اليمّـا

⁂

أضْوَى من الفجر فى ظُلمه الأسدافْ
من نفسـه يجرى لم يُجرِه مِجداف

⁂

مَدّ شراعَ النورْ يا حُسنَ ما مدا
كالؤْلؤ المنثور لو يَنفَحُ النَّدَّا

***

يا لكَ من زوْرقْ مَلّاحُه الأقدارْ
ينجو به المُغرَقْ من لُجّةِ الأكدار

« يدخل الحارس »

الملكة : ما وراء الحارس ؟

الحارس : الطا عة يا ذاتَ الجلالهْ
فائد يحمِلُ من قيـــصرَ أكتافيو رسالهْ

الملكة : أدخله ، أدخِلْ رسولَ قيصرْ

« يخرج الحارس ويدخل القائد »

القائد : قيصرُ العالى الى سيـــدتى يُهدى التحيهْ
هو فى الثكنة بالقر ب من الدار السنيه
يُظهِرُ العَطفَ عليها وهى بالعَطف حَرِيَّه
ويقول الأمرُ ما تأ مُرُ فى الاسكندريه
ولها الوادى وما يحـــمِلُ مُلْكا ورعيّه

وبنوها يَرِثون المُلـــكَ من روما الوصيه
وإذا حَلَّتْ بروما وجدت روما حَفيّه
تتلقّاها كأغلى درة فى القيصريه
ما الذى تَقْتَرِحُ المَلْـــكةُ ما تُملِى عَليّه
لِتقـلْ سيدتى حا جتَها تُقْضَ العشيّه

كيلوباترا : « كأنما تناجى نفسها »

وإذا حلت بروما وجدت روما حفيه !
تتلقـــاها كأغلى درة فى القيصريه !

« تضحك فى تهكم وألم »

أيهـا القائدُ أدّيْـــتَ فأحسنتَ الأداءْ
بَلِّغنْ قيصرَ عنى كلَّ شكر ودُعاء
ثم زِدْ أمنيـةً قد بَقِيَتْ لى ورجاء
أنا لا أكتُمُه ما سَرّ من أمرى وساء
وَلِىَ سرٌّ كاد عن نفـــسىَ يَزوِيه الخفاء
صُنتُه عن صاحباتى وصِحـابى الامناء

حبـذا لو زارنى قيـــــصرُ فى هذا المَساء
وله الشكرُ إذا لم يأتِ أو إن هو جاء

القائد :

سأذكرُ مولاتى لمولاىَ قيصرٍ وأنقُلُ ما أبديتِ من رَغَبَات
ولِمْ لا يُلبّى دعوةَ الحسن طائعاً ويسعى له مُستعجِلَ الخُطُوات ؟
وقد كان يوليوسُ يقومُ ببابه ويَمثُلُ أنطونيوسُ فى العتبَات !

كيلوباترا : « بعظمة »

أسأتَ أخا الرومان فهم إشارتى

القائد :

إذن فَهَبِى لى تلك من هفَواتى

« يخرج القائد »

كيلوباترا :

أَرانىَ لم يُحسِنْ الىّ مُعاصرى ولم أَجدِ الإنصافَ عند لِداتى
فكيف إذا ما غيبَ الموتُ ذَادتى وَبدَّد أنصارى وفَضَّ حُماتى !
كأنّىَ بعدى بالأحاديث سُلّطت على سيرتى أو وُكِّلتْ بحياتى
وبالجيل بعد الجيل يَروى زخارفاً فمن زور أخبـار وإفك رُواة
يقولون أُنثى أفنت العمرَ بالهوى بهيميَّـةُ اللذات والشهوات

فِدًا لغرامى بالرجال وحُسنِهم غرامُ الغوانى أو هوى المَلِكات
فليس الغلامُ البارعُ الحسنِ فتنتى ولا الرائعُ الأجلاد والعضلات
ولم يَسْتَثِرْ وَجدى من الروم فتيةٌ جُنونُ العذارى فتنةُ الخَفِرات
ولا كلُّ غصن من بنى مصرَ مائلٍ يَطيرُ اليه قلبُ كل فتاة
يموتون بى عشقاً ويَشقون بالهوى فكم من حياة فى يدى ومماتِ
ولكن عشقتُ العبقريَّةَ طفلةً وفى الغافلات البُلْهِ من سنواتى
كلفتُ بكهل أحرز الأرضَ سيفُه وحيزتْ له الدنيا من الجنبات
إذا هب من غرب البلاد تلفَّتتْ بلادٌ بأقصى الشرق منذعرات
تعثَّرَ حظى بعد طول سلامة وأقلع نجمى بعد طول ثبات
ومن يَمش فى وَردِ الأمور وشَوْكها يَعُدَّ الخُطا أو يَحسبِ العثرات

« تنظر الى السلال »

يا مرحبا بالسلَّةْ والرُّقْبِ المُطِلَّةْ
الكافياتى الذِّلّةْ

« ينسحب الجميع مطرقين ما عدا الملكة ووصيفتها وحابى »

كليلو باترا :

أدخلى بى يا شرميون على طِفْ لِى أُودِّعْهم الوَداع الرهيبا

فعساهم اذا تحجّب صدرى وجدوا صدرَك الحَفِيَّ الرحيبا

« لحابى وهيلانه »

ولدىَّ أهجرا القصورَ فانى قد وجدتُ النعيمَ فيها غريبا
ولها ضجةٌ وفيها فُضولٌ يُرهِقُ الحبّ واشيا ورقيبا
خلّيا عنكما المدائنَ يا ابنىّ فضْوضاؤها تُميت القلوبا
إن لى فى سهول طيبةَ حقلاً طيبَ الماء والهواء خصيبا
غَرسنْه يد الشباب فأضحى وارفا كالشباب حُسنًا وطِيبا
ألفَ الحبُّ من نواحيه أيْكا جمع الطيرَ هاتفا ومُجيبا
يُسمِعُ البُلْبُلُ العشيقةَ فيه وتُغنّى الأليفةُ العَنْدليبا
افقٌ لا يُظِلُّ إلا مُحبًّا وثرى لا يُقِلُّ إلا حبيبا
إشربا من كرومه واسقياها صافىَ الحب والهوى المسكوبا
وألعبا عند كلّ ماءٍ غديرٍ تريا الماء للحَبابِ لعيبا
وسلا الوردَ هل تَنفَّسَ فى الور د وهل ناسم البعيدُ القريبا
أدرِكا لذةَ الشروق ولمّا تبلغِ الشمسُ بالحياة الغروبا

« تخرج كيلوباترا وشرميون »

حابى :

هيلانُ هذا مقالُ النصح من مَلَكٍ ... فما تَرَيْن وما تَنوِينَ هيلانا
هَلُمَّ طِيبـةَ ننزلْ فى خمائلها ... ونَبْنِ مِثلَ بنـاء الطير دُنيانا
كطائرَيْن على بحرٍ وعاصفةٍ ... قد آنسا من وراء الشَّط بستانا
تداركتْنا أبرُّ المالـكات بهِ ... وأشرفُ الناس إحساساً ووِجدانا

هيلانه :

حابى عرفتَ الخِلالَ الطيِّباتِ لها ... وكنت أمسِ أقلَّ الناس عِرفانا

حابى :

خلِّى الجفاءَ حياتى إن ساعتَه ... مضتْ وهذا أوانُ السِّلم قد آنا
اللهُ يشهدُ أنى قد سدلتُ على ... ما كان من نَزَعات الرأى نسيانا
وأننى اليوم أبكيها وأندُبُها ... ولا أقيسُ بها فى الطهز إنسانا
اليوم ضحّتْ وزَكّاها الفِداء كما ... زكّى المُقرِّبُ باسم الله قُربانا

هيلانه :

إن التى شب فى نَعمائها صِغَرى ... ونبّهتْ لىَ فى سُلطانها شانا
إن لم أمُتْ دونها أو لم أمت معها ... فما جَزَيْتُ عن الإحسان إحسانا

حابى :

والحبُّ هيلانَ ؟ ماذا تصنعين به

هيلانه : إن الصداقة فوق الحب أحيانا

حابى أراها أزْمَعتْ وأرى الفجيعةَ واقعهْ

فأذهبْ فجِئْ بأنوبسٍ فعسى يَرُدُّ الفاجعه

حابى : وســـــواءٌ أردَّها أم أبى ذلك القـدرْ

فى غـدٍ أيهـا المَلا كُ الى طيبةَ السفر

« يخرج حابى »

هيلانة : ويح حابى اعتقادُهُ أن سأحيا فنلتقى

ليتنى نِلْتُ قُبـلةً منه قبـــــل التفرُّق

« تدخل كيلوباترا وفى أثرها شرميون »

كيلوباترا :

بروحى وإن لم تَبْق منى بقيَّةٌ صغارُ ورائى ذُوِّقُوا اليُتْمِ نُوَّحُ

أذوبُ لبلواهم وأعلمُ أننى حَمَلتُ عليهم ما يَجِلُّ ويَفْدَح

وقد أشتهى عيشَ الذليل لأجلهم فلا المجدُ يَرضى لى ولا النُبلُ يُسمَح

فصفحاً صغارى إن شَقِيتُم بمصرعى وإنى لأرجو أن تَغضّوا وتصفحوا

وَداعا صغارى صَيَّرَ اللهُ يُتمكم إلى خير ما يَكفى اليتامى ويُصلِح
أطفتُ بكم والنومُ تَسرِى سِناتُه على صفَحات كالأهِلَّة تَلمَحُ
وما منكمو فى الخِزِّ إلاّ حمامةٌ عليها طليلٌ ناعمَ الفَرْعِ أفيَح
تنامُ وما تدرى الكرى ما وراءه ولا الصبحُ فى ظلِّ الرُّبا كيف يُصبح
أتغدو على الدنيا كأمسِ طليقةً ضُحى اليوم أم يُغدَى عليها فتُذبَح ؟

فيم هيلانةُ تبكيـ ـن وأنت شرميون
كفكِفا الدمعَ فلا شـدةَ إلاّ وتهون
واعلما بِنَتىَّ أن البؤ ـسَ والنعمى دُيون

« تركع امام تمثال إيزيس »

اليومَ أقصرَ باطلى وضـلالى وخلتْ كأحلام الكرى آمالى
وصحوتُ من لَعِب الحياة ولهوها فوجدتُ للدنيـا خُمَارَ زوال
وتلفّتتْ عينى فلا بمواكبى بصُرتْ ولا بكتائبى ورجالى
وطِئتْ بساطى الحادثاتُ وأهرقتْ كأسى وفضَّتْ سامرى ونِقالى
إيزيسُ ينبوعَ الحنان تعطّفى وتلفّتى لضراعتى وسـؤالى
أنت التى بكت الأحبةَ واشتكت قبـل الأرامل لوْعةَ الإرمال
إنى وقعتُ على رحابِك فارحمى ذلَّ المُلوك لمجـدك المُتعالى

هـل تأذنين بأن أُعجّل نُقْلتى ... وأَحُثَّ عن دار الشقاء رِحالى
وعُـلاكِ ما أدعُ الحياةَ جبانةً ... أو ضِيقَ ذَرْعٍ أو قطيعةَ قال
إنى انتفعْتُ بعبقرىٍّ جمالها ... وتمتعتْ من عبقرىٍّ جمالى
وجمعتُ بين شعورها وعواطفى ... وقَرَنتُ رَحْبَ خيالها بخيالى
ووجدتُها قـد خلّدتْ أبطالهَا ... فبسطْتُ سلطانى على الأبطال
بنتُ الحياة أنا وتَشْهَدُ سِيرتى ... ما كنتُ من أمى سوى تِمثال
منها تناولتُ الرِّياء وِراثةً ... وأخـذتُ كلّ خديعة ومِحال
وقسوْتُ قسوتَها ولِنتُ كِلينها ... واقتستُ فى صَدَّى بها ووِصالى
ولربما رَشَدتْ فسِرتُ برُشدها ... وغَوَتْ فأغوتنى وضل ضلالى
ووجـدتُها حبًّا يَفيضُ ولذةً ... فجعلتُ لَذّاتِ الهوى أشغالى
يومى بأيامٍ لكَثْرة ما مشت ... فيـه الحيـاة وليلتى بليالى
ولقد لَقِيت من الحياة صَبيَّةً ... ما جـل من بؤس ورقة حال
فخُلِعتُ مُلكى طفلةً وشَردتُ فى ... صدر الصبا ورأى المَكارهَ آلى
شَرعتْ علىّ السوْط فى كُتّابها ... واليومَ تَضربُنى بدرس غال
يا موتُ هل حَرَجٌ على مُستنجِد ... بك أن يُسابقَ واقعَ الآجال ؟

يومى أعجّـلهُ ولو لم أنتحرْ للقيتُ يوماً ما له من تال
ياموتُ أنت أحبُّ أسراً فاسبنى لا تُعطِ روما والشيوخَ عِقالى
ياموتُ لا تُطْفِئْ بشاشةَ هيكلى واحفظْ ظواهرَ لحتى وجلالى
ياموتُ طُفْ بالروح واسرقْها كما سرق الكرى عينَ الخلىّ السالى
حتى أموتَ كما حَييتُ كأننى بيتُ الخيال ودُميةُ المَثّال
وكأن إغماضَ الجفون تناعسٌ وكأن رقدتىَ اضطجاعُ دلال
سِرْ بى الى أنطونيو فى نَضرتى ورُواء جلبابى وزينـة حالى

« تقوم الى أحد التلال فتكشف النير عن افعى »

هَلُمِّى الآن مُنقـذتى هَلمّى وأهلا بالخلاص وقد سعى لى
شَرَيتُ السمّ من فيك المُفدى بسلطانى وزِدتُ عليه مالى
على نابيْـك من زُرق المنايا شفاء النفس من سُودِ الليالى
و بعضُ السم تِرْياقٌ لبعض وقد يَشفى العُضَالُ من العُضال
دعوْتُ الراحةَ الكبرى فلبتْ فبُعـداً للحيـاة وللنِّضَال
هَلُمِّى عانقى أفعى قصور بها شوقٌ الى أفعى التلال
سَطتْ روما على مُلكى ولصَّتْ جواهرَ أسرتى وحُلِىّ آلى

فرُمتُ الموتَ لم أَجبُنْ ولكن ... لعل جلالَه يَحمِي جلالى
فلا تَمشِى على تاجى ولكن ... على جسدٍ ببطن الأرض بال
وقد علم البريّةُ أن تاجى ... نَمتْه الشمسُ والاسرُ العوالى
يُطالبُنى به وطنٌ عزيزٌ ... وآباءٌ ودائعُهم غوالى
أأدخلُ فى ثياب الذل روما ... وأُعرَضُ كالسّبِيّ على الرجال؟
وأُحدَجُ بالشماتة عن يمينى ... ويَعرِض لى التهكّمُ عن شمالى؟
وألقَى فى النّدِيّ شيوخَ روما ... مكانُ التاج من فَرْقَىَّ خالى ؟
وأغشى السجنَ تاركةً ورائى ... قصورَ العز والغُرَفَ الحوالى ؟
وتَحكُمُ فىّ روما وهى خَصمى ... وتُسرفُ فى العقوبة والنَّكال؟
يَرانى فى الحبائل مُترَفوها ... وقد كان القياصرُ فى حِبالى
إذن غيرُ الملوك أبى وجَدّى ... وَغيرُ طِرازهم عَمّى وخالى !
سأنزلُ غيرَ هائبةٍ إذا ما ... تلمَّظت المنيّةُ للنزال
أموتُ كما حَيِيتُ لعرش مصر ... وأبذُلُ دُونه عرشَ الجمال
حياةُ الذلّ تُدفَعُ بالمنايا ... تَعالىْ حَيَّةَ الوادى تعالى

« تتناول الافعى وتمهد لها من صدرها فتلدغها ثم ترميها الى السلة »

يا ابنتى وُدّى ... هَلُمّا ... زيّنـــانى ... للمنيهْ
غلّلانى ... طَيّبـانى ... بالأفاويهِ ... الزكيه
ألبِسانى حُـلَّةً ... تُعْـــجِبُ أنطونيو ... سنيه
من ثيابٍ ... كنتُ فيهـا أتلقـــاه ... صبيـه
ناولانى التـاجَ ... تاجَ الـــشمس ... فى مُلْكِ ... البريه
واثرا ... بين ... يدىْ ... عر شى ... الريا ... حين البهيه

« تموت بين وصيفتيها »

شرميون : « تتناول من احدى السلال أفعى »

كلوباترا ويا لهفى عليـكِ يا كلوباترا
وَصيفاتُك فى الدنيا وَصيفاتُك فى الأخرى

« وتمهد لها من صدرها فلدغها وتموت »

هيلانة : « تفعل مافعله شرميون »

كلوباترا ذهبتِ اليو مَ بالدنيـا كلوباترا
تعالىْ أيهـا الأفعَى أريحينى أنا الأخرى

« يدخل أنوبيس وحابى »

أنوبيس :

انسلت المُهرَةُ مِن قيدْها وأفلت الطيرُ من الصائدِ !

حابى :

هيلانَ يا لهفا على الحبيبهْ على الجمال وعلى الشبيبهْ
على الفتاة الحُرَّة النجيبهْ

« يتحسس جسمها »

يا للحَياةِ ماتنى دبيبا ! أبى ... تأمّلْ جسمَها الرطيبا
واسمعْ تَجِدْ لقلبها وجيبا

أنوبيس :

حابى نسيتَ حُقَّةَ النجاة !

حابى : هيهاتِ أَعصِيك أبى هيهاتِ !
إن أَنسَ أَشياءك أنسَ ذاتى !

« يخرج الحقة من جيبه »

خُـذْها

أنوبيس :

بل أسكبْ فى فم الفتاةِ لعلها تصحو من السُّباتِ

« يشغل حابى بايقاظ هيلانه »

أنوبيس : « على جثة كيلوباترا »

بِنتى رجوتُك للضحية والفِـدا فوجدتُ عندك فوق ما أنا راجى

« بنتى رجوتك للضحيـــة والفدا فوجدت عندك فوق ما أنا راجى »

(صفحة ١٠٤)

إن تُصبحِى جسداً فنفسُك حرةٌ وعُلاك سالةٌ وعِرضُك ناجى
سيقولُ بعدك كلُّ جيلٍ مُنصِف ذهبتْ ولكن فى سبيل التاج
وأنتِ أيضاً شرميونُ جِيفهْ مُتِّ ولكنْ مِيتةً شريفهْ
ما أعظمَ المَلْكةَ والوصيفهْ !

حابى : أدنُ أبى ألقِ النظرْ يا لَعجائبِ القدرْ !
أنو بيس : أحدث ترياقى الأثرْ ؟
حابى : أنظرْ أبى ترياقَك المحـ ـسنَ ماذا منحا ؟
أنظرْ فهـذا مَلَـكى من رقدةِ الموتِ صحا
قد فتح العينيْن بعـ ـد اليأس من أن تُفتَحا
وهـــذه أنفاسُه رَيْحانُها قـد نَفَحا
مولاى قـد قرَّ بـ ـتَ من سعادتى ما نَزَحا
أنت الذى رَددتَها رُوحاً وكانت شَبَحا
يا قلبُ كيف لم تَطِرْ عن الضلوع فرحا
هيلانة : يا ويحَ لى . . . ويحَ لِيَهْ هل صَدَقتْنى عِينِيهْ ؟
حابى . . . أفى الدنيا أنا ؟
حابى : بل أنت دنياى هنا

هيلانه : منذا جنى عليّـهْ حتى بُعثتُ حَيّـهْ ؟

حابى : أبى الذى شفاك يامَلاكى

أنوبيس: لا بل مَلاكُ الحب قد شفاكِ

وأَدمُعُ الإخـلاص من فتاكِ

هيلانه : أبى لقد مَرّ علىّ الموتُ وكنتُ من عذابه نَجَوْتُ

علامَ حُنْتَ بينه وبينى ؟ الموتُ لا يُذاقُ مَرّتَيْنِ

« ترى جثة الملـكة وهى تتلفت »

رُحماكِ آلهةَ الوادى ذُهلْتُ فلم أذكرْ مَلاكا وراءالعرشِ مُضطجِعا

بالأمس،لا،لا. بل اليومَ التحقتُ به صُرعتُ بالناقع السارى كما صُرِعا

لقد رَحلنا عن الدنيا الغَرور معا مالى رَجَعتُ إلى الدنيا وما رَجَعا

ليت الطبيبَ الذى داوَى فأخرجنى إلى الحياة على الدنيـا به طَلَعا

مليكتى ، ربّتى ، صفحاً ومغفرةً إن المرُوءةَ كانت أن نموت معا

الكاهن : بُنيّتى . .

هيلانه : صَهْ أبى ،

الكاهن : لا أنتِ واهمةٌ

فلستُما فى مُلاقاة الرّدَى شَرَعا

وقفتُما موقِفاً فى الخَطْب مختلفاً لو جَرّبتْ فيه غيرَ الموت ما نفعا

حابى : تعالىْ نَحْىَ فى الحَقْلِ مع الطير كما تَحيا

هَلُمِّى الحبَّ هيلاَ نةُ فالحبُّ هو الدنيا

أبى دونك بارِكْنا وإن شئتَ فشاركْنا

أنوبيس : إذا فارقتُ محرابى فمن يبكى على مِصرا ؟

سأبقى ههنـا ابْنىَّ إلى أن أقضِىَ العُمرا

هَلُمّا ابنىَّ باسم الله سِـيرا وابنيا الوكْرا

هلما جنـةَ الوادى هلما طِيبـةَ الغرّا

لئن فرّقنـا الده رُ فقد تَجمعُنا الذكرى

« يخرجان »

« يسمع صوت بوق »

أنوبيس : البوق دَوَّى قيصرُ أقبـلْ

« يدخل حارس »

الحارس : مولاى قيصر

« يتنحى عن الباب و يدخل قيصر وفى معيته الطبيب أولمبوس »

أنوبيس :

ما يَبتغِى قيصرُ من أسيرتهْ ؟ إن التى أعـدّها لزينته

يَدخلُ روما وهى فى كتيبتهْ تَزِيدُ فى مَوكِبه وقيمتهْ
ماتتْ ولم تنزِلْ على مشيئتهْ بُوركَ فى النيل وفى عَقيلتهْ

قيصر :

آلهةَ الرومان ! ماذا أرى ؟ إمرأةٌ تَسخَرُ من قائدِ
قد أبطَلَتْ كيْدى على ضعفها ولم تزلْ تَسْخَرُ بالكائد
فى الجسد الحىِّ تمنّيتُها لم أبغِها فى الجسد البائد

« يركع قيصر عند حية كليوباتره »

أنوبيس : « لنفسه »

الحادثُ العجيبُ قيصرُ والطبيبُ !
يَغدُرُها وعهدُه ببابها قريبُ

أكتافيو:

عجيبٌ يا طبيبُ أرى قتيلاً ولكن لا أرى أثرَ الجِراحِ !
أليستْ فى الفَناء أرفَّ لوناً وأندَى من رياحين الصباحِ
فهل تدنو فتكشِفَ كيف ماتتْ أبالسم الزّعاف أم السلاح ؟

« يقترب أولمبوس وينحى على صدر الملكة من الناحيه التى رميت فيها الافعى »

« عجيب ياطبيب أرى قتيلا ولـكن لا أرى أثر الجرح ! »

(صفحة ١٠٩)

ألبوس :

جبين مُشرقُ الغُرّهْ ووجهٌ ضاحكٌ نَضْرَهْ
وعينان كأن المو ت فى جَفنيْهما كَسْرَه
وهذا فمُها تـبدو الـــمنايا عنـه مُفتَرّه
ولـكن قيصرُ آدنُ أنظرْ هنا السرُّ هنـا العبره
فبين السَّحر والنحـــر كمِثل الخَدش من إبره
مكانُ الناب من صِلٍّ شديدِ البأس والشِّرّه

« تلدغه الافعى »

إلهى ، قيصرى ، آه لقد مَسّتْ يدى جَمْرَهْ
سرى السمُّ بأعضائى وعَمّتْ جسدى فَتْره
وجاءت سَكْرَةُ المو تفلاصَحوَ .. من السَّكْره

« ثم يسقط ميتا »

أكتافيوس

ويل النفوس من فُجَاءات القدرْ!
ووَيحَ ألبوس بالأفعى عَثَرْ

أنوبيس : « لنفسه »

قد وقع الحافرُ فيما قـد حَفر

قيصر :

وَداعاً كلوباترا الى يوم نلتقى ... وتَنفُضُ عنها الهامدينَ المَقابرُ
محا الموتُ أسبابَ العداوة بيننا ... فلا الثارُ مِلْحاحٌ ولا الحِقدُ ثائر
وما استحدثَتْ عند الكِرام شَماتةً ... صُروفُ المنايا والجُدودُ العواثر
وَداعا وان نحن إقتتلنا وجَرَّدتْ ... حُساميْهما أوطانُنا والعَشائر
تَحدَّيتِنى بالموت حتى قهرتنى ... ومالىَ سلطانٌ على الموت قاهر
ترفَّعتِ عن قيْدى ومُتِّ عزيزةً ... وأيدى المنايا للقيود كواسر
وأنت التى نازعتِ روما مكانَها ... وجَرّتْ بناديك القيودَ القياصر
لعبتِ بأنطونيو ويوليوسَ حِقْبَةً ... كما جاء بالمسحور أوراح ساحر
وما أنا الاّ سيفُ رومةَ باتراً ... أصيبَ به سيفٌ لرومةَ باتر
زَجرتُ فلم أُسمعْ فقاتلتُ مُكرَهاً ... وفى الحرب إن لم تَرتَدِعِ السِّلْمُ زاجر
وأنطونيو صهرى الكريم بمثله ... يُطاوِلُ أنسابَ الملوك المُصاهر
وَداعاً عروسَ الشرق كلُّ وِلاَيَة ... وإن هَزَّتِ الدنيا لها الموتُ آخر

« يخرج أكتافيوس وحاشيته وتزف التحايا له من الابواق والخناجر خارج القصر »

انوبيس : أكثرى أيها الذئاب عُواءً وادّعى فى البلاد عِزاً وقهرا
أنشِدى واهتفى وغنّى وضجّى واسبحى فى الدماء نابا وظُفرا
لا وإيزسَ ما تملّكتِ إلا وادياً من ضَياغم الغاب قَفرا
قَسَماً ما فتحتُمو مصرَ لكنْ قد فَتحتُم بها لرومةَ قبرا

ستار الختام

نظرات تحليلية

كليوباترا والتاريخ :

فى عصر من عصور التطور السياسى الدائم على عرش مصر ، وفى النصف الأخير من القرن الأول قبل الميلاد ، احتكت عظمة الامبراطورية الرومانية بالسياسة المصرية القديمة ، وطوت فى هذا الاحتكاك آخر صفحة من تلك المدنية الزاهرة التى اصطبغت بها مصر فى ظل البطالسة وتحت حكمهم أكثر من ثلاثة قرون

وجاء دور المؤرخ ليسجل أنباء هذا الاحتكاك فكان من حظ العلم :

أولا — أن استقى هذا التاريخ مادته من مصدرين كانا كل وسائل التاريخ القديم. فالمصدر الأول آثار يعرض لها عادة فى مثل هذه العواصف السياسية المضطربة غير قليل من التزييف والضياع . والمصدر الثانى رواة يجتهدون فى رواية الحوادث اجتهاداً ، فيخطئهم التوفيق أحيانا ، فيروونها لا كما كانت ولكن كما اشتهوا أن تكون

ثانيا — أن نهضت بهذه المهمة الخطيرة أقلام ، إما رومانية وإما مدينة لروما هوى أو ثقافة ، فسجلت هذه الأقلام تاريخ هذا الانتقال السياسى فى أسلوب قصصى ، فاز فيه قياصرة الرومان بأكاليل الغار كلها ، فالظافر من بينهم بطل ، والمخذول منهم ضحية ، وللضعيف

على كل ما فعل أو أسف علل قوية من هوى هذه الأقلام ، فى حين أن الملكة المصرية المظلومة — كليوباترا — الممثلة الأخيرة لمجد البطالسة وسلالتهم ، والتى سوى على حساب سمعتها وكرامتها وأفول نجمها هـذا الحساب الخطير ، لم تصب منه الا ركاما من التبعات والآثام واللعنات

ظهرت حية النيل العجوز — كما نعتوها — فى هذا التاريخ ، وعمدته « بلوتارخوس » ، وفى معظم الروايات اسنوحته واستقت من معينه ، فى مظهر امرأة خطالة متهمة فى عفتها من حيث هى امرأة ، وفى جلالها واخلاصها لبلادها من حيث هى ملكة ، مجرد . . .

« ... أنثى أفنت العمر بالهوى بهيمة اللذات والشهوات »

خاضعة فى كل أدوار حياتها السياسية لشهوة مذبذبة ، تدفع بها رخيصة الى كل صاحب مجد أو جاه ، متصلة — ما اتصلت فى هواها — ببطل ، منفصلة — ما انفصلت — عن « حطام مبعثر مستباح » ، دائبة البحث عن فريسة جديدة تستل آمالها ، وتسلبها جلالها ، وتهيض من جناحها المحلق فى سماء المجد والخلود . . . وعجيب أن تقفر حياة كهذه الحياة الحافلة بالمآسى الا من هذا الركن الدنس ، وعجيب ألا يرى أولئك القصاص فى هذه النفس الطموح ظلا لأمل خير أو حلم نبيل ، وعجيب أن تجثم فى كل ناحية من نواحيها رذيلة تهب المداد لهذه الأقلام !

مرمى الرواية :

أليس المؤلف المصرى ازاء هـذا الاضطهاد الصارخ لهـذه الملكة ، المصرية بحكم الثلاثة القرون التى قضاها أجدادها العظماء على ضفاف النيل ، مستقلين عن كل نفوذ أجنبي ، أبرياء الا من العمل المتصل لمجد مصر ورفاهتها ، مستحيلة دماؤهم قطرة فقطرة الى دماء مصرية خالصة على توالى الأيام ، أليس المؤلف المصرى فى حل — ما دام البحث العلمى يكشف بين الحين والحين فى هذا التاريخ المتهم عن حلقات ضائعة أو أوهام أنزلت فيه منزل الحقائق — من إنصاف هـذه المصرية المضطهدة ، ولو الى الحـد الذى يتفق مع هيكل هذا التاريخ المجرد ، ولا يحرمها على الأقل من سمو الغاية ونبالة المقصد ؟

أعتقد أنه ليس فى حل من هذا الانصاف فقط ، ولـكنه مسئول عنه الى أن يصل البحث الحديث فى تقرير حقيقة التاريخ القديم الى آخر مداه فيعز من يشاء و يذل من يشاء

على هذا الأساس يضع مؤلفنا المصرى اليوم فى « مصرع كيلوباترا » صورتين جديدتين ، إحداها لتاريخ كيلوباترا فى قليل من التحوير المنطق المعقول لتاريخها القديم ، والأخرى لحياة كيلوباترا حريصا فيها على أن تحاط بنفس الجو الظنين الذى يحيطها به رواة التاريخ القديم ، مانحا إياها الحق الأكبر فى الدفاع عن نفسها وعن سياستها وعاطفتها ، غير تارك لسواها من

أشخاص الرواية إلا حظا ضئيلا من هذا الدفاع ، وهو اذ يمنحها هذا الحق دون سواها من أشخاص الرواية إنما يحرص أولا على أن يترك لأولئك الأشخاص مطلق الحرية فى تحديد هذا الجوالظنين ، وثانيا على ألا يقسو فى مس الكرامة العامة للتاريخ ، وثالثا على أن يترك الباب مفتوحا لتحقيق ما لهذا الدفاع من وجاهة فى نظر البحث الحديث المنصف

كيلوباترا فى نظر التاريخ القديم :

ولدت كيلوباترا سنة ٦٩ قبل الميلاد ، وكانت على أن تبنى بأخيها الاكبر وتتولى العرش معه ، فنوزعت فى هـذه الشركة ، ففرت الى سوريا لتعبىء جيشا هناك تستعيد به تاجها المفقود . وهناك صادفها يوليوس قيصر ، فوقعت من نفسه ، فمكنها من العرش شركة مع أصغر أخويها ، فما لبثت أن قتلته مسموما وتبعت قيصر إلى روما فاحتفى بها حفاوة أثارت سخط الرومان

وقتل قيصر فترددت كيلوباترا أى الصفين تتبع ، أصف واتريه أم صف الموتورين فيه ، حتى اذا تم النصر لخلفاء قيصر على قتلته دعاها أنطونيوس الى طرسوس لتقدم حسابا عن هـذا التردد المقصود ، وقد لبت دعوته فسارت اليه فى موكب بحرى فخم تجلت فيـه روعة الشرق وجلاله وغناه ، وكانت يومئذ فى الثامنة والثلاثين من عمرها على أبهى ما كانت من سحر وفتنة وجمال ، فما لبث أنطونيوس أن رآها حتى افتتن بها وضحى فى سبيلها

بمكانه وكبريائه ، وأخيرا بملكه ومطامعه وحياته . وقضيا الشتاء التالى فى الاسكندرية فى غرام نسيا فيه كل شىء ، وعلى أن أنطونيو قد رجع الى روما وتزوج من أكتافيا شقيقة أكتافيوس ، فقد عاد الى كيلوباترا وأقام معها وسخا لها ولأبنائها بالعطف والتكريم ، وفى نشوة هذا الجنون كان اسمه يتضاءل فى روما ، وكانت قواه السياسية والحربية تخور

وفى سنة ٣٠ قبل الميلاد اشتبك القيصران فى وقعة اكتيوم البحرية ، وكانت كيلوباترة بطبيعة الحال تؤازر بأسطولها أسطول أنطونيوس ، ففرت أثناء المعركة وفر فى أثرها حبيبها المفتون ، وبذلك كتبت عليهما الهزيمة الأولى ، ثم اشتبك الجيشان فى معركة برية على أسوار الاسكندرية ، وكاد النصر فى أولها يواتى أنطونيوس ثم سرعان ما تنكر له وتم عليهما الخذلان الأخير

وحاولت كيلوباترا أن تأسر بجمالها القيصر الظافر ، وأن تفعل به ما فعلت بأنطونيوس ، فاشتركت معه فى مفاوضات لصالحها الخاص ، وأرسلت الى أنطونيوس من أوحى اليه بموتها ، فاتكأ على ظبة سيفه حتى إذا علم فى احتضاره كذب هذا الوحى ، أمر أن ينقل اليها حيث جاد تحت شفتيها بالنفس الأخير . وأيقنت كيلوباترا بعدئذ أن القيصر الظافر إنما يخدعها عن نفسها ، وإنما يريدها شارة ممتازة فى موكب انتصاره ، فانتحرت تاركة وراءها بنتين من أنطونيوس كفلتهما أكتافيا ، وولداً من

يوليوس قيصر (قيصرون) قتل فى عهد اكتافيوس ، وجسداً هامداً ضمه القبر الى رفات أنطونيوس ، وذكريات حية خالدة . . .

« فضن عن الملوك والقواد وصرن وحى شاعر وشادى »
« وفتنة اليراع والمداد »

وجوه الاختلاف الأساسى بين الحوادث التاريخية والحوادث الروائية :

يهمنا من هذه الحوادث ازاء الرواية ما تناول الأيام الأخيرة من حياة كيلوباترا ، تلك الأيام التى لم تتناول الرواية سواها ، فنرى :

أولا — أن فرار كيلوباترا من وقعة اكتيوم كان جبنا وعذراً فى التاريخ ، ونرى أثر هذه النظرية التاريخية فى الرواية حيث يعتب انطونيوس على كيلوباترا .

« وقلت انسحبت ضعفا وقال الناس بل غدرا »

فى حين أن هذا الفرار فى الرواية جزء من سياسة كيلوباترا — وسوف نبسطها بعد قليل — ويدل على ذلك وعلى روح هذه السياسة قول كيلوباترا

« فتأملت حالتى مليا وتدبرت أمر صحوى وسكرى »
« وتبينت أن روما اذا زا لت عن البحر لم يسد فيه غيرى »
« كنت فى عاصف سللت شراعى منه فانسلت البوارج إثرى »

ثانيا — أن التاريخ لم يذكر أن جيش كيلوباترا فر من المعركة البرية بينما سجل المؤلف هذا الفرار فى الرواية تمشيا مع السياسية التى اختطتها كيلوباترا لنفسها ، وفى ذلك يقول أنطنيوس .

« أسطولها الى مراسيه أوى وجيشها ألقى السلاح ونجا »

ثالثا — أن كيلوباترا هى المسئولة أمام التاريخ عن انتحار أنطونيوس بينما يبرئها المؤلف من هـذه التهمة ، ويخلق شخصية خيالية يلقى عليها هـذه التبعة ، هى شخصية الطبيب أولمبوس ، ونرى ذلك حيث تتساءل كيلوباترا فى لوعة ولهفة :

« من نعانى كدبا من قالها لك »

وإذ يجيبها أنطونيوس :

« أولمبوس النذل الخؤون »

وحيث نسمع أولمبوس فى الفصل الثانى من الرواية مهدداً ناقما :

« أوروس أنطونيو حسابكما غداً روما الأبيـة لم تنم عن ثارها »

وحيث نلمس مكمن الحيلة بين هذه النقمة وذلك الانتقام

رابعا — حاولت كيلوباترا تاريخيا أن تتصبى عدوها الظافر، وأن تغدر حبيبها المخذول ، ثم انتحرت عند ما فشلت هذه السياسية ، والمؤلف ينزهها عن هذا الأسفاف ، يجعل أول لقائها لاوكتافيوس وأول اتصاله بها عقب مصرع أنطونيوس ، ثم يجعل من هـذا الاتصال مفاوضات ، ويجعل فى هذه المفاوضات خداعا من قيصر وإباء من كيلوباترا ، فلا

تصبى ولا محاولة ايقاع فى غرام ، ثم يجعل انتحارها حرصا على تاج مصر أن يذله العرص فى روما من ناحية وذلك إذ تقول :

« سطت روما على ملكى ... ... »
« فرمت الموت لم أجبن ولكن لعل جلاله يحمى جلالى »
« فلا تمشى على تاجى ولكن على جسد ببطن الأرض بالى »

ووفاء لأنطونيوس من ناحية أخرى وذلك إذ تقول :

« أيها الذاهب قدآ ن عن الدنيا ذهوبى »
« أيها الخالص وداً ليس ودى بالمشوب »
« ... ... »
« عن قريب ينطوى القبر علينا عن قريب »

صور تحليلية لأهم اشخاص الرواية :

كيلوباترا

ما فتىء المؤلف منذ مطلع الرواية الى مقطعها يؤكد جنسية كيلوباترا المصرية وإن تحدّرت من نبعة أجنبية ، فقد كان الزمن الطويل الذى قضاه أجدادها فى مصر — كما أسلفنا — كافيا لتمصيرها .

وعبث أن نختار من الرواية قطعة دون أخرى لاثبات هذه الجنسية فالرواية كلها دليل متصل نسجل منه على سبيل المثل قولها :

« أموت كما حييت لعرش مصر وأبذل دونه عرش الجمال »

وقولها

« موقف يعجب العلا كنت فيه بنت مصر وكنت ملكة مصر »

ثم قولا آخر احتال فيه المؤلف على تبرير هذه الجنسية ، متحاشيا فى هذا التبرير إلا مجرد التلميح من بعيد لدمها القديم ، وذلك إذ يقول

« أخى هذا أتينى وخلى ذاك مقدونى »

« ... ... »

« كلا الخلين ذو جد بأرض النيل مدفون »

« فليسا فى هوى مصر وفى طاعتها دونى »

وتصور الرواية كيلوباترا من نواح ثلاث يستحسن أن نبحثها منفصلة ، الأولى من حيث هى امرأة ، والثانية من حيث هى ملكة ، والثالثة من حيث هى شخص سياسى :

كيلوباترا امرأة :

ا — جميلة :

وأمام جمالها يتمنى زينون رأسين :

« يطأطىء رأسا لمجد النبوغ ويخفض رأسا لمجد الجمال »

ويناجيها أنطنيوس قائلا :

« ردى على هامتى الغار الذى سلبت فقبلة منك تعلوها هى الغار »

ويذكرها وهو يودع الدنيا :

« لما لقيتك فى الجمال وعزه قهرت قواى الظافرات قواك »

وفى احتضاره يهتف بها :

« كلوباترا زودينى قبلة من ثناياك العذاب الشهات »

وهيلانة تتحدث عنها :

« لم يحو شمسين الفلك »

وأنوبيس يلقبها :

« شعاع المدائن نور القرى »

وحبرا ينبهر أمام كفها ...

« عجب عينى لا تقوى على هذا الضياء »

« هذه كف إله جاء فى زى النساء »

ورسول اكتافيوس قيصر يعجب لمولاه كيف :

« ... لا يابى دعوة الحسن طائعا ... ... »

« وقد كان يوليوس يقوم ببابه ويمثل أنطونيوس فى العتبات »

ب — قوية الثقة بجمالها :

وبوحى من هذه الثقة تناجى الاسكندرية قائلة :

« وأنا المهاة وقد ملأتك قاعا »

وتصف عشاقها قائلة :

« يموتون بى عشقا و يشقون بالهوى فكم من حياة فى يدى ومات »

وحينما تفكر فى الانتحار لم يكن يشغلها من الدنيا شاغل إلا أن تحتفظ فى موتها بهذا الجمال و يبدو ذلك أولا فى الحوار بينها و بين أنوبيس :

« ولكن أبى هل يصان الجمال ؟ وهل يطفأ اللون ؟ وهل يبطل الموت سحر الجفون ؟ »

وثانيا عند ما تناجى شبح الموت :

« يا موت لا تطفىء بشاشة هيكلى ... واحفظ ظواهر لحتى وجلالى »

« .... »

« حتى أموت كما حييت كاننى ... بيت الخيال ودمية المثال »

وتتحدث عن الحياة فتقول :

« إنى انتفعت بعبقرى جمالها ... وتمتعت من عبقرى جمالى »

هـ — قوية البيان :

قوة يمثلها حابى حيث يقول :

« ليسياس إنك قد سمعت حديثها ... كالسحر فى الآذان حين يدار »

« تبدو الخيانة فيه وهى أمانة ... ويرى الثبات عليه وهو فرار »

و — شاعرة :

وفى ذلك يقول لها أنطونيوس :

« وقولى الشعر علويا »

ويقول للمغنى أياس :

« غننى شعر ملاكى ... غننى شعر الاله »

ولها فى الرواية نشـيدان « أناأنطونيو وأنطونيوأنا »

« ياطيب وادى العدم »

هـ — ولوع بالقراءة :

وفى ذلك يقول زينون :

« ... ... تنسى ملكها بلقاء الكتب أو تنسى هواها »

وقد رأينا أن لها فى قصرها مكتبة

و — الأمومة لديها كالغرام — وسوف نتحدث عنه فى موضعه — عاطفة ثانية إذا كان حب المجد و إباء الضيم فيه عاطفتها الأولى :

« وقد اشتهى عيش الذليل لأجلهم فلا المجد يرضى لى ولا النبل يسمح »

ز — عفة الهوى :

وقد تروع القارىء هـذه الحقيقة لأول وهلة ، إزاء سلسلة التهم القاسية التى وصمت بها كيلوباترا فى الرواية كما يبدو من هذه الأمثلة :

(١) « هتفوا لمن شرب الطلا فى تاجهم وأصار عرشهمو فراش غرام »

(٢) « أترضى أن يكون سرير مصر قوائمه الدعارة والبغاء ؟ »

(٣) « قد اجترأت على روما البغى »

(٤) « صرح أبن قل غدرت اقل جددت بقيصر الثالث دولة الهوى »

(٥) « ... ... أفنت العمر بالهوى بهيمية اللذات والشهوات »

لـكن قليلا من التفكير يرده الى وجه الصواب فالتهمة الثانية قد رماها بها حابى الذى كان يراها عن بعد فى ضوء الاشاعة السائرة ، والذى لم يلبث أن نزل عن رأيه فيها حينما عرفها عن كثب ، فعاد يعدها « أبر الملكات » و « أشرف الناس إحساسا ووجدانا » و « لا يقيس بها فى الطهر إنسانا » والتهمة الأولى قـد وجهت اليها من شاب كان يشترك وحابى فى نظرته الأولى اليها ، لـكنه لم يقترب منها ليرى ما رآه حابى فى النهاية . والتهمة الثالثة موجهة اليها من قائد رومانى غاضب لـكرامة بلاده ، أى من خصم سياسى موتور . والتهمة الرابعة صاحبها أنطونيوس ، رماها بها ظالما فى ساعة يأس ، ثم كفر عنها بانتحاره ، وسوف نتحدث عن وفائها له بعـد قليل . والتهمة الأخيرة إنمـا تجمع فيها كيلوباترا خلاصة ما يقال فيها وفى هواها ثم تدفعه فى قولها :

« فدا لغرامى بالرجال وحسنهم غرام الغوانى أو هوى الملـكات »
« فليس الغلام البارع الحسن فتنتى ولا الرائع الاجلاد والعضلات »
« ... ... »
« ولـكن عشقت العبقرية طفلة وفى الغافلات البله من سنواتى »

وفى قولها والضمير للحياة :

« ووجدتها قـد خلدت أبطالها فبسطت سلطانى على الأبطال »

ح — وفية لغرامها مخلصة فيه الاحيث يصطدم هذا الغرام بوطنيتها :
فأما وفاؤها لغرامها و إخلاصها فيه فموقفها من أنطونيوس جريحا وميتا و بعد أن لم يعد يرجى منه خير ولا أمل ، وذكرها له وهى مشرفة على الموت حيث تنادى الموت قائلة

« سر بى الى أنطونيو فى نضرتى ورواء جلبابى وزينة حالى »

وحيث تنادى وصيفتيها قائلة :

« ألبسانى حلة تعجب أنطونيو سنيه »

كل ذلك آيات على هذا الوفاء والاخلاص

وأما تضحيتها بغرامها لسياستها فعلى الرغم من أقوالها « أنا أنطونيو وأنطونيو أنا » « والحياة الحب والحب الحياة » « ونحن قربنا له — أى للحب — ملك الثرى » و :

« هو أعطى الحب تاجى قيصر لم لا أعطى الهوى تاجى منا »

على الرغم من هذه العاطفة القوية التى أظهرتها كيلوباترا دائما فى مواجهة أنطنيوس ، والتى لم يؤيدها الأمر الواقع ، والتى إن دلت على شىء ، فعلى أن كيلوباترا كانت كـكل امرأة سواها ...

ط — يداخلها فى حضرة حبيبها أثر المبالغة وروح الرياء :

ولعلها تعتذر عن ذلك إذ تقول والضمير للحياة :

« بنت الحيـاة أنا ... ... »

« عنها تناولت الرياء وراثة وأخذت كل خديعة ومحال »

نعود فنقول على الرغم من كل هذا إن غرام كيلوباترا — كما سوف نرى حينما نعرض لسياستها — ما تعارض يوما مع هذه السياسة ومع ما كانت تكفل به التاج المصرى من حب ورعاية ، إلا خر هذا الغرام صريعا

بقيت نقطة أخيرة تتصل بهذا الهوى وتلك أن كيلوباترا كانت فى ساعات لهوها . . .

ى — تفنى فى هذا اللهو وتستمتع به وتنسى ما سواه :

وحسبنا فى الأشارة الى ذلك قولها :

« فاطو معى حوادث الا مس ولا تجـدد »

« وامض معى فى لذة الـ يوم ودع هم الغد »

وقولها :

« لتكونن ليـلة آخر الدهر تذكر »

« لا نبالى إذا صفت بعدها ما يكدر »

على أنها كانت تستظل فى هذا الاستمتاع بظل من الوقار يتبارى مع خلاعة الاغراق فيه ، تلك الخلاعة التى كانت سمة العصر المترف المستهتر التى عاشت فيه ، والتى نكتفى من إثباتها بالاشارة أولا إلى قول القائل :

هلا نظرت إلى الأميرة إنها سكرى تعثر فى خليع عذارها »

وثانيا إلى اتضاعها فى وليمتها حيث تترك يدها فى يسر لتكون نهبا لشفاه عراف صنير .

أما الظل الوقور الذى كانت تستظل به فى هـذه الساعات اللاهية ، والذى يبدو فى قولها :

« إجعلوها وليمة ويساطا يتبارى خلاعة ووقارا »

فلعلها استمدته من قبس دينى ما فتىء يتردد على نفسها بين الحين والحين . وتبدو . . .

ك — مستمسكة بدينها :

إذ تهتف بانويس فى موضع :

« صل من أجلى ولا تنـ س صغارى فى صلاتك »

وفى موضع آخر :

« هـذا مقام صلاتى وهيكلى للضراعه »

« ولى خطايا كثير لا تبرح البال ساعه »

« فادخل وصل لاجلى فمنك ترجى الشفاعه »

وفى موضع ثالث :

« أبى دخلت ونفسى حيرى الزمام حزينه »

« وقـد تركت المصلى وملء قلبى سكينه »

« إن الصلاة على شد ة الزمان معينه »

وبين هذه العفة والوقار من جانب ، وهذه المتعة والخلاعة من جانب آخر جهرت كيلوباترا بهذا الاعتراف والضمير للحياة :

« ولربما رشدت فسرت برشدها وغوت فأغوتنى وضل ضلالى »

ووصفها أنويس بأنها كشعاع الضحى :

« يخوض الوحول و ينشى الحلى و يأوى الحضيض و يعلو الذرا »

« ... ... »

« ولـكنه طاهر حيث طـا ف نفى الذيول عفيف الخطا »

كيلوباترا ملكة :

ا — قوية الشخصية :

وأظهر ما تبدو هذه القوة فى أربعة مواضع . الاول حينما تدخل على زينون بعد أن لعنها وتآمر عليها فلا يكاد يسمع تحيتها حتى يردها قائلا:

« سلام السماوات فى مجدها على ربة التاج ذات الجلال »

والثانى حيث يقول أوروس :

« لولا الوليمة والشراب وحرمة لاميرة الوادى السعيد ودارها »

والثالث حيث يقول أنطونيوس :

«أخرجت أمرى واختيارى من يدى وتركتنى نفسا بغير ملاك »

والرابع حيث يؤبنها اكتافيوس :

« لعبت بأنطونيو و يوليوس حقبة كما جاء بالمسحور أو راح ساحر »

بيد أن هذه القوة كانت تظهر أحيانا كأنها مشوبة بضعف . لـكنه ضعف مصطنع ترى فيه المرأة سلاحا من أسلحة قوتها . فهى حينما تنادى أنطونيوس .

« مكانك قيصر لا تذهبن ولا تبرح القصر أهلك أسى »

إنما تجرب قوة دلالها، وقد أفلحت فى هذه التجربة ورأينا كيف استنهضت بهذا الدلال من حماسة أنطونيوس وكذلك عند ما تقول لاوكتافيوس :

« فخذه من يد المو ت ومن عاجزة تبكى »

فقد كان ذلك منها تهكما بتهكم ، وقد رأينا كيف وقفت بعد ذلك وقفتها فى إبائها وكبريائها الأعزل ، فاضطرت القيصر المنتصر أن ينتقل فى خطابها من سخرية الى احترام

وفى ذلك تقول هى :

« فان تك بى خشية فى الدسا ء فلى جرأة الملكات الكبر »

و يقول اكتافيوس :

« قد أبطلت كيدى على ضعفها ولم تزل تسخر بالكائد »

ب — مصلحة :

وفى ذلك تناجى الاسكندرية قائلة :

« وشيت برك جدولا وخميلة وكسوت بحرك عدة وشراعا »

« وأنا اللماة وقد ملأتك غابة وأنا المهاة وقد ملأتك قاعا »

« قدخفت من بعدى عليك ممالكا يطلقن فيك الفاتحين سباعا »

ج — فخور :

و يبدو هذا الفخر على أشده حينما تجعل نفسها «ضرة روما» إذ تقول :

« اليوم تعلم روما أن ضرتها تقلد العار من تهوى وتختار »

وحينما تقول لحابى :

« دع الذود عن مصر لى إننى أنا السيف والآخرون العصا »

وحينما تقول :

« وقـد علم البرية أن تاحى نمته الشمس والاسر العوالى »

وحينما تخاطب الاسكندرية قائلة :

« وأنا اللباة وقد ملأتك غابة »

وحينما تسأل العراف :

« أحضيض يومى الآ خر قل لى أم سماء »

« خاتم الايام أو لى باهتمام العظماء »

د — أبية :

وآية ذلك قولها لانوبيس :

« أبى لا العزل خفت ولا المنايا ولـكن أن يسيروا بى سبيا »

وقولها فى وداع حياتها .

« أأدخل فى ثياب الذل روما ... ... »

« ... ... »

« إذن غير الملوك أبى وجدى وغير طرارهم عمى وخالى »

وقولها فى وداع صغارها :

« وقد اشتهى عيش الذليل لاجلهم فلا المجدير ضى لى ولا النبل يسمع »

وفى تأبين أكتافيوس لها :

« ترفعت عن قيدى ومت عزيزة »

هـ — تتألف خصومها :

واحتيالها فى اجتذاب حابى إليها عن سبيل حبه لهيلانة خير دليل

و — عطوف على أتباعها :

تقول لوصيفتها :

« أنت لى خادم ولكن كانا فى اللمات أهل قربى وصهر »

وتقول لها وصيفتها :

« ... ... يارب ذنب يتعب العذر فيه مهدت عذرى »

وقد أكسبها هذا العطف تفانيا فى حبها من أولئك الاتباع .

فانظر الى هيلانة إذ تقول :

« إن التى شب فى نعمائها صغرى ونبهت لى فى سلطانها شانا »

« إن لم أمت دونها أو لم أمت معها فاجزيت عن الاحسان إحسانا »

وإذ تقول على جثتها :

« ليت الطبيب الذى داوى فأخرجنى الى الحياة على الدنيا به طلعا »

وإذ يصل هذا التفانى الى حد التضحية بالحياة ، وإذ يتجلى الحزن الشامل على القصر ومن فيه فى الساعة التى أفل فيها نجم كيلوباترا وأشرفت على مفارقة الحياة ، إنظر الى كل هذا تجد أن أولئك الاتباع وجدوا فى ظل كيلوباترا العطف والرفق والاحسان

ز — غفور :

ويبدو ذلك فى قولها لحابى :

« فمثلك تاب ومثلى عفا »

ح — جليد :

ونرى أثر هذا الجلد فى قولها :

« ياويح صحبي بعد طول سرورهم قعدوا الى أحزانهم يبكونا »

« جيئى بهم ياشرميون لينظروا جلدى فيهدأ بعض ما يجدونا »

ط — تكره التملق :

وفى ذلك تقول لحبرا :

« خلنى من زخرف المد ح ومن زور الثنـاء »

سياسة كيلوباترا :

تقول كيلوباترا لاوروس :

« الحرب فنك أورو س والسياسة فنى »

فهل هذا صحيح ؟

لقد كانت كيلوباترا بعيدة النظر حينما عتبت على أنطونيوس عقب انتصاره فى اليوم الأول من يومى المعركة البرية على أسوار الاسكندرية أن ترك خصمه من غير أن يضربه الضربة القاضية بعد أن اقتحم عليه مضاربه

« تركتهم لغد ؟ هذى مجازفة غد غيوب وأسرار وأقدار »

وقد أثبتت هزيمة أنطونيوس فى اليوم التالى بعد هذا النظر

وكانت كيلوباترا بعيدة النظر كذلك حينما استشفت من خلال ذلك العرض الممسول الذى عرضه عليها أكتافيوس :

« ولها الوادى وما يحـ ـمل ملـكا ورعيـه »
« وبنوها يرثون الملـ ـك من روما الوصيه »
« واذا حلت بروما وجدت روما حفيه »

شبح الحيلة والخداع ، فكادت له كيدا اضطره أن يقف أمام جثتها موقف المنهزم يقول :

« قد أبطلب كيدى على ضعفها ... ... »
« فى الجسد الحى تمنيتها لم أبغها فى الجسد البائد »

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فقد اختطت كيلوباترا لنفسها سياسة خاصة فى هذه الراوية ، وقد ظلت أمينة على تنفيذها حتى النهاية ، وقد فشلت فى هذه السياسة فشلا أفقدها حبها وتاجها وحياتها ، وأفقد مصر ما كان لها من شبه حرية واستقلال

ونعرض الآن هذه السياسة ثم نتناولها بالبحث لنرى مواطن ضعفها وكيف انتهت الى هذا المصير

كانت كيلوباترا أسيرة عواطف ثلاث :

الاولى — حبها لمصر وحرصها على مستقبل تاجها . وقد رأينا أن الرواية ملأى بدلائل هذا الحب والحرص حينما تكلمنا عن جنسية كيلوباترا

الثانية — حبها لانطونيوس . ومن العبث أن نستشهد على هذا الحب بنجواها الغرامية المتصلة وحدها كلما جمع المجال بينها و بين أنطونيوس ، فلقد تتهم هذه النجوى بشىء من المبالغة والرياء ، وخير أن نقصر هذا

الاستشهاد على حديثها عنه فى غيبته ، إذ تقول :

« علم الله قد خذلت حبيبى »

و إذ تقول فى موقف آخر

« هو أنطنيوس ذخرى وطريقى وتليدى »

وعلى الوفاء له بعد موته وقد أسلفنا عليه الدليل ، ومهما يكن من انقاد هذه العاطفة فى قلبها فقد كانت لديها كما قلنا عاطفة ثانوية ، كلما تعارضت مع حبها لمصر ، ففى سبيل وطنها كانت مستعدة للتضحية بكل شىء ، وكانت تعتقد حقيقة أن . . .

« المجد لا يسأل عن صاحبة ولا ولد »

وكانت مخلصة حينما استنهضت حماسة أنطونيوس بهذه الكلمة الجامعة .

« عد ظافراً أو لا تعد »

وآية استعدادها للتضحية بغرامها فى سبيل سياسة بلادها قولها عقب فرارها من اكتيوم :

« علم الله قد خذلت حبيبى وأبا صبيتى وعونى وذخرى »

« والذى ضيع العروش وضحى فى سبيلى بألف قطر وقطر »

« موقف يعجب العلا كنت فيه بنت مصر وكنت ملكة مصر »

الثالثة — بغضها لروما و إشفافها من طغيان سلطانها المكين و يبدو هذا البغض فى عدة مواضع :

منها قولها :

« لا تسيروا على ولائم روما سرفا فى الفسوق واستهتارا »

ومنها قول أحد القواد الرومان لزميل له :

« أتسمع ما تقول عدو روما ؟ »

وقولها :

« دعوا روما ولا تجروا لها ذكرا »

وقولها :

« حبرا أعندك سحر يشل طاغوت روما ؟ »

« ويجعل الناس فيها حجارة ورسوما »

وقولها فى موقف مفاضلة بين ألوان الشراب :

« دنان مصر لا دنان الروم »

ثم شعور الناس جميعا — حتى خصومها — بذلك البغض ، وفى ذلك يقول حابى لزينون قبل أن يتزل عن رأيه فيها :

« ولم يبق على الود لروما غير زينون »

واشباعا لهذه العواطف جميعا رسمت كيلوباترا لنفسها ثلاث غايات :

الأولى — أن تستخلص الشرق لنفسها مستقلا عن كل نفوذ

الثانية — أن تضعف قوى روما ما استطاعت مع المحافظة على قواها هى

الثالثة — أن تعكس الآية السياسية الموجودة يومئذ ، فتسود روما خلال سيادة قيصر ضعيف ، تضمن أن يخضع لفتنة جمالها دائما ، كما تضمن أن يخشى قوة بأسها ثانيا ، وكل هذه الشروط كانت تجتمع فى أنطونيو

وتجمل كيلوباترا غايتها الأولى والثالثة فى قولها لانطونيوس :

« أنت لروما فى غد وقيصرون بعد غد »

« والشرق سلطانى الذى إكليله لى انعقد »

ثم تبسط غايتها الثالثة اذ تقول :

« قلت روما تصعدت فنرى شطـــراً من القوم فى عداوة شطر »

« ... ... »

« وتبينت أن روما اذا زا لت عن البحر لم يسد فيه غيرى »

والوسيلة التى ظنتها كيلوباترا كفيلة بتحقيق هذه الغايات ، أن تقف من القيصرين المتحاربين موقف الحياد ، فقد كانت تؤمن بتكافؤ قواهما الحربية ، لانهما « تقاسما الفلك والجيش » وبات كلاهما . . . .

« ... ... شطـــرا من القوم فى عداوة شطر »

وقد أثبت تداول النصر بينهما قبل المعركة الفاصلة صدق هذا اليقين . وقدرت كيلوباترا أن حيادها هذا يكفل لها الاحتفاظ بقواها فى البر والبحر بينما ينهك القتال قوى القيصرين — المنتصر منهما والمخذول — حتى اذا قرت الحرب بينهما ظهرت بجيشها وأسطولها ، لتجهز على اكتافيوس — اذا ظفر — وهو متعب منهوك ، ولتحيى أنطونيوس — اذا كان الظافر — تحية القوى للضعيف ، لا تحية التابع للمتبوع . لكن الحياد الصريح كان معناه المحتوم أن تفقد أنطونيوس ، وأن تفقد كل أمل فى سواه ، وأن ينهار بفقدان هذا الامل صرح أمانيها جميعا ، فاصطنعت كيلوباترا

لنفسها حيادا مقنعا تتظاهر فيه بالقيام بنصيبها من أعباء الحرب الى جانب أنطونيوس ، حتى إذا نشبت المعركة فرت بجيشها أو أسطولها ، تاركة لغرام أنطونيوس القوى مهمة التماس الاعذار لضعفها وفرارها من حومة القتال، ناطقا على لسانه :

« فقلت انسحبت ضعفا وقال الناس بل غدرا »
« ولو كان لهم قلب كقلبي التمسوا العذرا »

ومهمة أخرى هى إلقاء تبعة الغدر والخيانة على من يشاء من قوادها :

« فيا قائد الأسطول هل من مكيدة تدبر لى خلف الشراع وما أدرى ؟»

وما من شك أنها مهمات يسيرة ، إزاء مهمة الاعتذار لخيانتها السافرة لو أنها وقفت منه موقف الحياد الصريح ! وما من شك كذلك أن هذه المهمات قد أداها غرام أنطنيوس بنجاح فقد عفا عن ضعف حبيبته مرتين ومات راضيا عنها كل الرضاء

ونستطيع استخلاص هذه الخطة التى اتخذتها كيلوباترا من أربعة مواضع :

الأول — فى موقف كيلوباترا من حاشيتها بعد وقعة أكتيوم ، تبرر فرارها فى هذه الابيات :

« فلت روما تصدعت فترى شط را من القوم فى عداوة شطر »
« بطلاها تقاسما الفلك والجيـ ش وشبا الوغى ببحر وبر »
« فتأملت حالتى مليـــا وتدبرت أمر صحوى وسكرى »
« وتبينت أن روما إذا زا لت عن البحر لم يسد فيه غيرى »

« كنت فى عاصف سللت شراعى منـه فانسلت البوارج إثرى »
« خلصت من رحى القتال ومما يلحق السفن من دمار وأسر »

الثانى — فى قول أنطونيوس :

« أسطولها إلى مراسيه أوى وجبشها ألوى السلاح ونجا »

ولقد يلقى قول كيلوباترا فى استقبال أنطونيوس على أثر عودته ظافراً فى اليوم الأول من يومى المعركة البرية

« هو والله نشيدى والمغنون جنودى »
« والمخاريق التى تخنـــق من بعد بنودى »

لقد يلقى هذا القول ظلا من الشك على مسايرة خطة الانسحاب من المعركة لسياق الرواية ، يعززه أن أنطونيوس لم يأخـذ عليها فرارها من هذه المعركة كما أخذ عليها فرارها من اكتيوم ، لـكن هذا الظل المريب يتضاءل ويفنى حينما نعلم أولا أن كيلوباترا لم تشترك فى هذه المعركة بتاتا ، فقد « آلى وأقسم » أنطونيوس :

« ... ... لايرى فى قصرها حـتى يقوم مجـده المنهار »

وظل فى حنقه وغضبه منها « بأفرب ثـكنة » من الاسكندرية :

« يدعو من الرومان — وحدهم — من يختار »
« ويعد أهبته ليوم حاسم فى البر يغسل عنه فيه العار »

وحينما نتمشى ثانيامع قول كيلوباترا قليلا ، فنسمعها فى فرحها بعودته تقول :

« ولديها فارس ملـــتثم شاكى الحديد »

« هو أنطونيوس ذخرى وطربقى وتليـــدى »

فهى لم تفرق بين جنود أنطونيوس وأعلامه ، و بين جنودها هى وأعلامها ، ولـكن ذكرت نوعا واحـداً من الجنود والاعلام والأناشيد ، وقالت هم جنودى وأعلامى وأناشيدى ، لأنها فى غرورها الفخور وفى ثقتها بجمالها وحب أنطونيوس لهـا وحبها لأنطونيوس ، كانت تعتقد ما قالت « أنا أنطونيو وأنطونيو أنا » ، وترى على هذا أن كل ماله إنما هو ملك لها ، وكان أنطونيوس بدوره يتناسى فى انتصاره عتبه الأول ، و يتناسى فى غرامه أناشيد روما وأعلامها ، و يتخذ أناشيد مصر وأعلامها ، و يترك أسطوله « يعب تحت هذه الاعلام » وجيشه يتغنى بهذه الاناشيد ، وفاء لها بما أخذه لها على نفسه ، أنه « مصرى » وأنه « تابعها الوفى » وأنه ما فى سوى رضاها له مضى »

الثالث — قولها لانوبيس :

« وجيش الحليف وجيش العدو بظهر المدينة شـبا الوغى »

أما جيشها هى فسياستها تعلم أين كان !

الرابع قولها لانوبيس كذلك :

« أبى أعلمت أن الجيش ولى وأن بوارجى أبت المضيا ؟ »

فكيلوباترا هنا تشكوا من أن بوارجها أبت المضى ، لـكن متى حدث هذا الاباء ؟ هـل كان ذلك فى معركة اكتيوم ؟ طبعا لا ... لأنه لو كان ذلك كذلك لمـا كان هناك سبيل لشكاة كيلوباترا من أمر هى صاحبة الرأى

فيه ، ولما كان هناك سبيل للتعبير عن فرار الاسطول يومئذ بأنه « إباء » أى تمرد ، وهى الآمرة بالفرار وأسطولها لم يعد أن سمع وأطاع ، ولما كانت هناك فائدة فى إخبار أنو بيس بنبأ قد عرفه منذ حين . . . إذن لا بدأن هذه البوارج قد أبت المضى الى الحرب بعد هزيمة أنطونيوس الأخيرة ، وقد يبدو — وإن كان ذلك فى شىء من الغموض — أن كيلوباترا تنفيذاً لما بسطنا من خطتها أرادت أن تضرب اكتافيوس عقب انتصاره كما قدرت ، فأهابت بأسطولها أن يمضى فأبى هذا المضى ، وأهابت بجيشها أن يمضى فولى الادبار ... اعتاد كلاهما لذة الدعة وراحة الفرار ، ومن هـذه العادة جنت كيلوباترا ما غرست فيهما من بذور الضعف والخور ، وتحطمت خطتها وسياستها على صخرة عاتية وقفت لديها تعض بنانها ندما وتقول :

« أيها العين أبصرى إنما كنت فى حلم »

مواطن الضعف فى هذه السياسة :

أولا — أخذ أنو بيس على هذه السياسة عامة أن كيلوباترا كان يجب أن تخلص فى عون أنطنيوس ، فيكون الأمل فى الظفر أقوى ، وذلك حيث يقول :

« تركتمو أنطونيو س وحده يلقى العدا »
« من أجلكم سل الحسا م والى الحرب مشى »
« ما كان ضركم لو الـ تففتمو على اللوا ؟ »

لكن حسن الظن فى كيلوباترا قد يستطيع الاعتذار لها بأنها كانت تريد الى جانبها قيصرا ضعيفا يمكن أن يرث عنه القيصرية ولدها فيصرون ، لا قيصرا قويا قد تفقد سلطانها عليه إذا تعرض غرامه للذبول

ثانيا — قدرت كيلوباترا أن يظل أنطونيوس فى المعركة بعد فرارها فخانها التقدير ، وفر فى أثرها أنطونيوس :

« لم تأت حتى جاء فى أثارها للحب أجنحة بهن يطار »

ثالثا — لم تقدر ما يحدثه فرارها من الضعف المعنوى فى جيش نطونيوس ، وآية هذا الضعف قول أوروس لمولاه :

« وخلفت فى عسكر كالنعا ج كثير الثناء فايل الغنا »

« فمن يائس مات قبل القتا ل ومن خائن فر قبل اللقا »

رابعا — صراحتها الطائشة فى إعلان بغضها لروما أمام الرومان ، واضطرارها أنطونيوس أن يظاهر بهذا المظهر كذلك أمام قواده ، ثما أحنق أولئك القواد وجعلهم يقولون :

« سنلبث ساعة نحتال حتى إذا سلت عقولهمو انسللنا »

« فما المتدله السكير أهلا لتنصره السيوف إذا استللنا »

ونرى أثر هذا الحنق حينما يقول أنطونيوس :

« جنود أكتاف أدركونى يا ليتنى مت قبل هذا »

فيجيبه جندى رومانى :

« لا بل جنودك لكن خانوك حبا لروما »

خامسا — عدم اتعاظها بضعف سياستها بعد معركة اكتيوم ، وتكرار الانسحاب وتكرار الهزائم

سادسا — اعتمادها على جيش وأسطول علمتهما الهرب من ساحة القتال

وقصارى ما نستطيع أن نقول فى سياسة كيلوباترا إن عينها كانت ترى ما وراء الأفق وتعمى عما تحت أنفها من عثرات ، و إن هذه السياسة ليست المسئول الوحيد عن هذه الكارثة التى انتهت بها حياة كيلوباترا ولكن هناك مسئولا آخر هو الضعف النفسى الذى تحكم يومئذ فى أنطونيوس .

***

ولعل خير إطار تحلى به هذه الصورة الجامعة المتسقة الالوان لحياة هذه الملكة هو تأبين أنوبيس لها :

« بنتى رجوتك للضحية والفدا فوجدت عندك فوق ما أناراجى »
« إن تصبحى جسداً فنفسك حرة وعلاك سالمة وعرضك ناج »
« سيقول بعدك كل جيل منصف ذهبت ولكن فى سبيل التاج »

أنطونيوس

رسم المؤلف صورتين لانطونيوس الجندى فى هذه الرواية .

الأولى — صورته قبل أن يتصل بكيلوباترا أيام أن كان يضحى بالهوى فى سبيل المجد

الثانية — صورة أنطونيوس بعد أن عرف كيلوباترا وأصبح يضحى بالمجد فى سبيل الهوى

ونرى الصورة الأولى حينما يذكر أنطونيوس — وهو مشرف على الموت — أيام صباه فيقول :

« وأيام يدعونى الهوى فأجيبه و ينفخ فى البوق المنادى فانبرى »
« فتنت الغوانى برهة وفتننى ولكننى عن سؤدد لم أقصر »
« فهمة قلبي فى شراب وصبوة وهمة نفسى فى علاء ومفخر »
« أروس تواقفنا على كل غمرة وكل مجال ثائر النقع أكدر »
« وفى مهرجان الفاتحين وعرسهم وتحت لواء أو على عود منبر »

فنراه من خلال هذه الصورة ، شجاعا ، ظافرا ، خطيبا يشبع عاطفته ولكن إلى الحد الذى لا يقف به فى سبيل المجد عن غاية

ونرى الصورة الثانية حيث يفر أنطونيوس من معركة أكتيوم وفى ذلك يقول حابى :

« لم تأت حتى جاء فى آثارها للحب أجنحة بهن يطار »

واذ يخرج به الهوى من معركة لو استمر فيها لكتب له النصر الأخير، وذلك اذ يقول لكيلوباترا عقب انتصاره المؤقت .

« ومالت الشمس أو كادت فراجعنى شوق اليك عديم الدار سوار »
« حتى رجعت ولو أنى طردتهمو لبات اكتاف عندى وانقضى الثار »

وإذ ينسى بلاده ووطنيته وجنسيته فى حب كيلوباترا فتستطيع أن تقول :

« ... ... دعوا روما ولا تجروا لها ذكرا »
« فما أنطونيو منها وان كان ابنها البكرا »

« ولكن تحت أعلامى يقود البر والبحرا »

فيسأله قائد من قواده :

« أحق مارك أنطونيو س من رومية تبرا ؟ »

فيجيبه :

« أجل أتبع مولاتى ولا أعصى لها أمراً »

وإذا تستطيع أن تقول :

« أنطونيو ما أنت رومانى ألم تقل إنك لى جندى »

فيجيبها :

« أجل وزدت أننى مصرى وأننى تابعك الوفى »

« ما فى سوى رضاك لى مضى »

وإذ يقول هو والخطاب لروما

« إن الذى بالأمس زنت جبينه بالغار عقك جهده وعصاك »

وإذ يقول له قائد من قواده :

« ألا انه ليل له ما وراءه غرامك حى فيه والمجد ميت »

وآخر :

« فما المتدله السكير أهلا لتنصره السيوف ... ... »

وثالث :

« حياته فى يديه أم فى يدى كيلوباترا »

وإذ يناجى هو « إلهته » كيلوباترا :

« أخرجت أمرى واختيارى من يدى
وتركتنى نفسا بغير ملاك »

وإذ يفقد مزية الجندى الباسل فى ساحة الوغى ، تلك المزية التى أثبتها لنفسه حين سألته كيلوباترا :

« ... ... أسالم أنت لا أسر ولا عار ؟ »

فأجاب :

« أسر ؟ وهمت كيلوباترا ... ... »
« لوقلت قتل لكان القول أشبه بى كاس المنايا على الأبطال دوار »

وتلك هى مزية الثبات التى يفقدها أنطونيوس بفراره من اكتيوم ثم فراره من المعركة البرية الثانية إذ يقول :

« جللت نفسى بعار يبقى بقاء الزمان »
« لما حملت جوادى على الفرار ازدرانى »
« وضج منى سيفى وضج منى سنانى »
« وودت الارض تحتى لو طهرت من عيانى »
« أنا الذى كان أمضى من الحديد جنانى »
« كان الملوك عبيدى فصرت عبدالحسان »

على أن المؤلف ترك له ما سوى هـذا من مزايا الجندية ، فجعله على لسان كيلوباترا :

« جيشا بمفرده فى الروع جرار »

وجعله على لسان حبرا :

« إله الحرب »

وجعله على لسان أوروس :

« إله الوغى » حيث يقول :

« رأيتك والحرب تبلو الكما ة فأشهد كنت إله الوغى »

« وقد كان سيفك غول السيو ف وكانت فناتك غول القنا »

« وكنت إذا الموت أفضى اليـ ـك تحدينه فانثنى القهقرى »

وجعله على لسان جندى رومانى :

« ... ... هيكلا عز فى الرجال ضريبا »

« ... ... خير من هز رمحا أو نضا صارما ولاقى الحروبا »

وجعله على لسان كيلوباترا :

« محور الأرض وميزان الشعوب »

وجعله على لسان اكتافيوس :

« سيفا باتراً لروما »

ضمن أمثلة من هذا النوع تناثرت فى الرواية

لكن هذه المزايا الباقية لم تغن عنه شيئا إزاء ضعفه النفسى الذى أفاضه عليه اندفاعه الأعمى فى هواه ، وجعله من حيث طاعته لكيلوباترا « كهمج الاسكندرية »

ثم صور المؤلف صورة أخرى لأنطونيوس من حيث هو رجل فنراه من خلال هذه الصورة :

غفورا :

يتجلى غفرانه لكيلوباترا مرة بعد أخرى

و يبدو ذلك فى قولها له :

« وكم حقدت ثم أصبحـ ـت كان لم تحقد »

رحيم القلب ، بشوش الوجه :

وتبدو رحمته و بشاشته فى قول كيلوباترا :

« ليس العبوس سنة لوجهك الطلق الندى »

« ولست من يغضب فى ليـل الشراب والدد »

« ولست للكأس على شـاربها بالمفسد »

« فلبك كنز الحب والـ رحمـة والتودد »

اكتافيوس

يظهر اكتافيوس فى الرواية قائداً عظيما قويا و يبدو ذلك فى انتصاره وفى قوله « وما أنا الا سيف رومة » وفى قول كيلوباترا :

« إن اسطعت على ما لك من بطش ومن فتك »

« وما حولك من خيل وما تحتك من فلك »

وسياسيا :

و يبدو ذلك فى المعاهدة التى أراد أن يخدع بها كيلوباترا ليتخذ من شارة فى موكب انتصاره

انوبيس

يتمثل فى الرواية مصريا شديد الغيرة على مصريته :
ويتجلى ذلك اذ يقول :

« إيزيس كيف أصلى على ابن يوليوس قيصر »
« أبوه عال ولكن فرعون أعلى وأكبر »

وإذ يوحى الى كيلوباترا فكرة الانتحار عطفا عليها من حيث هى ملكة مصرية وحرصا على كرامة التاج المصرى ، ويتضح ذلك فى حواره حول أفاعيه واذ يختم هذا الحوار قائلا :

« يمينا بايزيس أحملهن اليك ولو فى سلال الخضر »
« إذا بات فى خطر تاج مصر سبقت اليك بهن الخطر »

وهو من هذه الناحية موزع بين عاطفتين .

الأولى : عطفه على كيلوباترا
الثانية : بغضه لروما

ويتجلى هذا البغض فى قوله :

« حابى أحيط القصر بالذئاب وبى من السخط عليهم مابى »

لكنه لم يكن ينسى فى هذا البغض أن آمال مصر معقودة على انتصار أنطونيوس . وقد رأينا أثر ذلك فى سياسة كيلوباترا

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية
١٠٫٠٠٠/٣١/١٩١٧